

الفصل الأول

تطور العلاقة بين الأدب العبري الحديث
والصهيونية

obeikandi.com

أولاً: نشأة الصهيونية وأهدافها:

لم تكن الصهيونية يوماً إلا حركة يهودية تاريخية استغلت شيوع ما يسمى بالمسألة اليهودية وهدفت إلى حلها بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، لتعتلى مسرح الأحداث التاريخية المتوترة إبان فترة تكوينها كحركة ثم يسدل الستار في النهاية بتحقيق هدفها الأسمى، وهو قيام كيان يهودى مستقل بعيداً عن حياة الشتات التي عاشها اليهود وما زالوا عبر فترات تاريخية طويلة تجرع خلالها اليهود - بسبب تكوينهم النفسى - شتى أنواع المعاملة الإنسانية من قبل سلطات البلاد التي كانوا يعيشون فيها.

والمتتبع لتاريخ اليهود عبر عصور عديدة، سيجد أن الصهيونية ما هي إلا نتاج لعدة عوامل وظروف صاغها السلوك البشرى اليهودى على أرض الواقع، قادت في النهاية إلى ظهور الصهيونية ومن بعدها قيام دولة إسرائيل في العصر الحديث، وهي إشكالية لا يمكن فهمها إلا من خلال تتبع الوجود اليهودى وما شكله من اضطرابات وأحداث منذ ما قبل الصهيونية وحتى قيام دولة إسرائيل.

ولكى ندرك تماماً ماهية الأيديولوجية الصهيونية، علينا أن نتجه بأنظارنا أولاً ووفقاً لتطور تاريخ الصهيونية إلى يهود وسط أوروبا وشرقها، لأنها تعد المنطقة المركزية الأولى للتفاعلات والأحداث والأفكار التي صاغت الصهيونية، وقادت في النهاية إلى ظهورها.

" لقد ثبت بناء على شواهد كثيرة تاريخية ودينية أن اليهود قد رحلوا إلى الشاطئ الشمالى من البحر الأسود وترانسكافانيا وطوران في القرن الأول الميلادى، كانوا في خلال هذه الفترة متأثرين بالثقافة والعادات الاجتماعية والدينية المأخوذة عن جيرانهم الهالينيين. ويؤكد المؤرخون على أن كثيرين من يهود فلسطين قد وصلوا منذ ما قبل المسيح بقرون عديدة (بعد سقوط الهيكل الأول في القرن السادس ق. م) إلى شواطئ روسيا، وانتشروا عبر منطقة القوقاز. ووفقاً للأدلة التاريخية فإن هناك جماعة يهودية استقرت في جورجيا حوالى عام 132 ق. م مع اندحار ثورة بركوخبا ضد الرومان... وبعد ذلك بمرحلة متأخرة ظهر اليهود في أجزاء أخرى من روسيا، وقد استقروا في البداية في كييف ولتوانيا حوالى

(●) ثورة بركوخبا: حدثت هذه الثورة في فترة الحكم الرومانى بعد الدمار الذى لحق بمدينة القدس، بعد حصارها وتدمير المعبد الثانى - الذى حدث عام 69 ميلادية - وسبى عدد من اليهود، حينما انتهز أحد الكهنة اليهود ويدعى "شمعون اللاوى"، الذى عرف فيما بعد بركوخبا، انشغال روما بحروبها مع الفرس (البيزنطيين) وضعف الحكومة المركزية، فقاد تمرداً محدوداً ونصب نفسه ملكاً على اليهود هناك مدعياً أنه "المسيح المنتظر"، ولكن سرعان ما قضت روما على هذا التمرد بقيادة أدريان الذى هدم ما كان من مبانى فى القدس وأعاد بناءها من جديد على الطراز الرومانى. (انظر: د. منى التاريخ الإسرائيلى فى مفهوم الربانى نحمان كروخمال، دراسة نقدية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1988، ص76).

القرن الثامن الميلادي . وفي بداية القرن الخامس عشر الميلادي كانت هناك جماعة يهودية فى منطقة بيلوروسيا . ووردت أول إشارة لليهود فى تاريخ موسكو عام 1474 . وكانت أكبر هجرة مؤثرة فى تاريخ اليهود تلك التى حدثت فى اتجاه شرق أوروبا فى اتجاه الغرب نحو ألمانيا ... وبتأثير ما لاقاه اليهود على يد الحملات الصليبية هاجرت عشرات الآلاف من الأسر من غرب أوروبا إلى شرقها، وشجعهم على ذلك ترحيب حكام تلك البلاد للاستفادة بهم فى التنمية . واعتباراً من القرن السادس عشر فصاعداً تجددت حياة اليهود فى غرب أوروبا ووجدوا وطناً آمناً نسبياً فى شرق أوروبا، نظراً للامتيازات التى تمتعوا بها من حرية دينية وحكم ذاتى وما إلى ذلك . وقد عاش اليهود فى روسيا وبولندا داخل إطار أطلق عليه (منطقة الاستيطان) وكان يشمل بولندا ولتوانيا وبيلوروسيا وأوكرانيا، وهى المناطق التى سمح لليهود بأن يعيشوا فيها حتى منتصف القرن التاسع عشر^(□) .

وحتى عشية عصر التنوير اليهودى (الهسكالاه[●])، عاش اليهود حياة منعزلة متفوقين داخل حدودهم وأماكن إقامتهم . وهى حياة يمكن القول إنها كانت بعيدة تماماً عن مواكبة التغيرات الفكرية والحضارية التى تدور من حولهم، حيث أصبحت العزلة اليهودية فى حارات اليهود ومنطقة الاستيطان اليهودى أبرز ما اشتهر به اليهود آنذاك، حيث وقف الاخامات اليهود بالمرصاد لأية محاولة للخروج على الطابع الانعزالي الذى طبع حياة اليهود من قبلهم .

وقد اتخذت مناطق الانعزال اليهودى مسـميات عديدة مثل الشتتل^(●●)، والقاهال^(●●●) والجيتو^(●●●●) الذى يعد أشهر الأشكال الانعزالية اليهودية فى العالم ؛ بحيث أصبح يطلق

(□) د. رشاد عبدالله الشامى : الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت، العدد 102، يونيو 1986، (ص 10) .

(●) الهسكالاه: هى حركة تنوير يهودية نادت بانفتاح اليهود واندماجهم اجتماعياً وثقافياً ولغويّاً بالأمم التى يعيشون بينها، وطرحت تعديلات جذرية فى الدين اليهودى والعبادة، وكان من روادها اليهودى الألمانى "موسى مندلسون" الذى قام بالترجمة الألمانية للعهد القديم، وذلك فى محاولة للتخلص من سيطرة الدين اليهودى على مجريات الحياة اليهودية، وكان شعار الهسكالاه فى روسيا هو (كن يهودياً فى بيتك وإنساناً خارج بيتك) .

(●●) الشتتل: هى كلمة يديشية تعنى (المدينة الصغيرة)، وهو عبارة عن تجمع سكانى من اليهود يتراوح بين ألف وعشرين ألفاً وكانت الحياة تدور فيه حول المعبد اليهودى، والمنزل اليهودى ثم السوق الذى يلتقى فيه اليهود بالأغبار . (انظر: د. رشاد عبدالله الشامى : الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 13) .

(●●●) القاهال: كلمة عبرية تعنى جمهوراً أو جماعة كبيرة من الناس فى مكان واحد، أو طائفة أو الطائفة اليهودية فى إحدى مدن الشتات اليهودى . ويعنى بها الخلية الأساسية لتنظيم حياة اليهود فى منطقة إقامتهم . وكانت مهام القاهال مشابهة لمهام الدولة تجاه مواطنيها . وتعد تجسيدا للحكم الذاتى من قبل الحكومة . (انظر : المرجع السابق، ص 13) .

على سبيل التعميم على شتى أشكال الحياة اليهودية الانعزالية. وقد لعب الدين اليهودي في الجيتو دوراً فاعلاً؛ بحيث لا يمكن فهم هذه الحياة اليهودية التي عاشها اليهود في شرق أوروبا وإدراكها بمعزل عن الدين اليهودي وقوانينه التي تحكمت في المأكل والملبس والتعليم والزواج والختان ويوم السبت وشتى أنواع الحياة الإنسانية لليهود عبر عقود كثيرة. ومن هنا كانت لسلطة الحاخام قدسيتهما في تنظيم إيقاع الحياة داخل هذا الجيتو.

ويمكن القول، إن الحياة الانعزالية التي عاشها اليهود قد تدخلت بشكل رئيسي في صياغة النفسية اليهودية الجيتوية، بحيث أصبح التقرب منها ومحاولة إدراكها أمراً صعب المنال في غالب الأحيان، مما استرعى انتباه عدد من حكام البلاد التي كان يعيش بينها اليهود فكان منهم من ألغى "القاهاالات" وأخضع اليهود للإدارة العامة، وهناك من فرض عليهم الخدمة العسكرية الإجبارية بأضعاف المدة العادية.

أما عن حياة اليهود في غرب أوروبا، فلم تختلف كثيراً عنها في شرق أوروبا؛ حيث استمر اليهود في حياتهم اليهودية الانعزالية، وبعد قيام الثورة الفرنسية شهد اليهود معاملة أفضل، بعدما ألغيت عنهم القيود الاقتصادية، وأعيد النظر في مسألة دخولهم الجمعيات الكنسية المكونة من الحاخامات والعلمانيين ومسألة الترقية في الجيش.

فشل حركة التنوير اليهودية (الهسكالاه) والاتجاه نحو الصهيونية:

"في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر كانت أوروبا قد سئمت الحكم الاستبدادي الذي كان يسودها في ذلك الحين على يد الملوك والنبلاء والقساوسة الذين حطموا روح الشعوب. وحينئذ بدأ العلماء والفلاسفة في بث آراء جديدة عن دور الدولة وعن حق الإنسان في عرض رأيه في مختلف شئون الحكم. وقد سميت هذه الحركة "حركة التنوير الأوروبية Enlightenment" (1).

(●●●●) الجيتو: أصل هذه الكلمة محاط بكثير من الشكوك. ومن المحتمل أن تكون الكلمة قد استخدمت للمرة الأولى لوصف حي من أحياء البندقية، والذي يقع بالقرب من مسبك لصهر المعادن يسمى (جيتو أو جتو) = كان محاطاً بأسوار وبوابات في عام 1516 وخصص كمكان لإقامة الطائفة اليهودية. وهناك من وجدوا أصلاً للتسمية في العبرية من الفعل (جت) بمعنى الانفصال أو الطلاق، وفي البيديشية، وفي اللاتينية وفي اليونانية، وفي الجوتية ولكن ليس هناك شك في أن مصدرها هو كلمة (الجيتو نوفو) معمل سبك المعادن، وهو مكان الحي اليهودي المنعزل الأول، في البندقية، عام 1516. (انظر: المرجع السابق، ص 16).

(□) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص 39)

ولم يكن لهذه الحركة هدف إلا تنوير العقل الإنساني وتشجيعه على لفظ الإرث التقليدي الموجود والاتجاه به نحو العلمانية والتحضر، بعدما تفشت بين جموع الشعوب غياهب الرجعية والتفوق داخل الذات الإنسانية ومجاراتها بروح الإيمان فحسب.

ولم يكن اليهود أيضاً في منأى عن هذه الحركة التنويرية الأوروبية. فبينما كانت الحياة اليهودية تسير بشكل عادي بين أسوار الجيتو، انطلقت حركة "الهسكالاه" أو حركة التنوير اليهودية على يد موشيه مندلسون لأول مرة عام 1750 بهدف تحطيم عزلة اليهود ودفعهم نحو الاندماج والذوبان في المجتمعات التي كانوا يعيشون بينها. "ورويداً رويداً بدأت الآراء الجديدة عن حرية الإنسان تدخل إلى حارات اليهود الضيقة، وحينئذ بدأ اليهود يشعرون بجو (بيت هامدراش) الضيق الخائق (مركز للعبادة والدراسة في آن واحد)، وبالعالم الربانيم (الخاصات التلموديين) القاسى المتزمت. ولم يعد يرى كثير من اليهود أي معنى لبعدهم الزائد عن الشعوب التي بشرت بحب الإنسانية وبالحرية، وتفجرت في كل ناحية هتافات (لنخرج من الجيتو) و(لنتقرب من الشعوب) و(لنتعلم لغاتهم) و(لنتثقف ونتعلم الحكمة والمعرفة). وبذلك بدأت حركة تثقيف عصرية بين اليهود، كانت بدايتها في ألمانيا، عبر عنها بما يسمى حركة التنوير اليهودية أو (الهسكالاه) وهو الاصطلاح الذي استخدمه يهودا جيليتس لأول مرة عام 1832 للدلالة على عصر النهضة الثقافية اليهودية الذي استمر من عام 1750 إلى 1880" (1).

وعلى الرغم من أثار هذه الحركة التي أشعلت الثورة ضد النظام الحياتي للجيتو وسيطرة الدين اليهودي على أدق تفاصيل الحياة للنفس اليهودية، فإن مندلسون لم يع تماماً طبيعة النفس اليهودية القائمة على إثارة القلائل والمشكلات. "فقامت الثورة فيما بعد ضد الهسكالاه نفسها بعد انتكاستها الكبرى في أعقاب الاضطرابات التي وقعت في روسيا عام 1881 وظهور قوانين مايو* التي أفقدت اليهود الأمل في الاندماج والذوبان في الشعب الروسي" (2).

(1) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص 41).

(2) قوانين مايو: مجموعة من القوانين المؤقتة أصدرتها الحكومة الروسية في مايو 1882 وبمقتضاها أصبح من المحظور على أعضاء الجماعات اليهودية في روسيا أن يعيشوا أو يمتلكوا أى عقار إلا في المدن الموجودة داخل منطقة الاستيطان اليهودي. ومن ضمن هذه القوانين ألا يسمح لليهودي بالسكن خارج المدن الخاصة بهم، وإذا خرج اليهودي من قريته لا يسمح له بالعودة، ومن حق السكان الروس طرد السكان اليهود من قراهم. (انظر: د. عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، الجزء الرابع، 1999، ص 379).

(3) د. أحمد حماد: الأدب العبري الحديث، الضال في دروب الحياة، دار الزهراء للنشر، القاهرة، 1991 (ص 15).

لقد كانت هناك ثمة مؤشرات تشير إلى احتمال فشل هذه الحركة وبزوغ نجم حركة جديدة قامت على أنقاضها وهي الحركة الصهيونية. فعلى الرغم من جنوح المجتمع اليهودى نحو التحرر من القيود الدينية ورفع شعار (كن يهودياً فى بيتك وإنساناً خارج بيتك)، فإن ما يسمى بـ " المشكلة اليهودية " وجد بعداً جديداً تماماً أمام التحدى الخاص بالتحرر والاندماج فى المجتمعات غير اليهودية، " وبدأ الموضوع بالمدارس الخاصة بالمجتمع غير اليهودى التى فتحت أبوابها أمام اليهود ... حيث كانت المدارس العامة والعلمانية تغلق أبوابها بالطبع يوم الأحد وفى الأعياد العامة، بينما تظل مفتوحة يوم السبت وفى أعياد اليهود. فماذا يفعل اليهودى الذى يرسل أبنائه إلى تلك المدارس؟ فهل يمتنع عن إرسالهم خوفاً من تدنيس السبت؟ أم يقول لابنه اذهب إلى المدرسة ولا تكتب شيئاً؟ وإذا كان هناك امتحان يوم السبت، فماذا يفعل الابن؟ فهل يكتب ويدنس السبت؟ أم يطلب امتحاناً خاصاً له؟ وماذا إذا لم يسمح له المدرس؟ وماذا إذا جاء الامتحان المصيرى فى عيد الغفران اليهودى الذى يأتى يوم السبت؟ هل يدنسه ثم يستغفر؟ أم يفقد السنة الدراسية كلها؟ أم يعيش فى منأى عن كل هذا ويشعر بأن الأمر غير متعلق به؟" (□).

وأياً كانت إجابة اليهودى على كل هذه الأسئلة، خصوصاً وهو يتساوى فى الحقوق مع الآخرين وسط المجتمعات التى يعيش فيها، فإن التحرر الذى سعت إليه حركة الهسكالاه لم يكن يعنى القضاء على مثل هذه المشكلات التى واجهت اليهود.

ويعلق شلومو أفينيرى على هذه المعضلة التى واجهت اليهود فى سعيهم نحو التحرر قائلاً: " كان جيل الهسكالاه اليهودية مطالباً بإيجاد حل لهذه التحديات الجديدة بأسلوب كلاسيكى (كن يهودياً فى بيتك، وإنساناً خارج بيتك). بينما حقيقة هذا الانشطار إلى نصفين والتغيرات بهذه الصيغة تشير إلى الموقف الصعب الذى واجهه اليهودى فى عصر التحرر ... فمن الواضح أن اليهودى كانت له هوية مزدوجة: فهو (مناحم - مندلى) فى بيته، أما فى خارج بيته فهو (موريس). وفى بيته تشعل زوجته شموع السبت، بينما فى خارج بيته يتوجه إلى أعماله يوم السبت. وهذا هو التمزق الجديد فى ظل التغيرات الجديدة، وهذا هو الثمن الذى دفعه اليهودى فى مقابل التحرر " (□).

وفى خضم هذه المشكلات الكبيرة التى واجهت جيل الهسكالاه وكان أبرزها ازدواج الهوية اليهودية، لأن اليهودى هو أيضاً ألمانى وبولندى وروسى، انسلخت حركة الإحياء القومى اليهودى التى قامت على أنقاض حركة التنوير اليهودية، وظهر جيل ما يسمى

(□) شلومو أفينيرى: " شيتلوت حفراه اومدينوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية فى إسرائيل دار نشر كيتز، القدس 1977، (ص17).

(□) نفس المرجع، (ص18).

بالحركة القومية اليهودية. وقد استغل هذا الجليل الموقف المتعثر لحركة التنوير اليهودية ؛ فحاربوا الأفكار الاندماجية التي نادى بها المتنورون اليهود، وصوروا الاندماج بأقبح المظاهر ؛ إذ عدّ ضعفاً في الشخصية، وليس كعملية تاريخية لها منطقها وقوتها الدافعة، وساعدهم في ذلك ظهور عصر القوميات في أوروبا.

" لقد عاش معظم يهود أوروبا آنذاك في شرقها، وهناك اختلطوا بالقوميين الذين سعوا في ذلك الوقت إلى إيجاد هوية مستقلة لهم: فقد صارح البولنديون من أجل هويتهم أمام الألمان من ناحية، والروس من ناحية أخرى. وكشف الأوكرانيون عن تاريخهم أمام الروس من ناحية، والبولنديين من ناحية أخرى، والمجريون أيضاً سعوا من أجل هوية لهم أمام الألمان، وكذا السلافيون الجنوبيون والرومان والسلوفاك. واليهود بين كل هذا في الوسط " (1) يعيشون ازدواج الهوية.

ولم يكن ظهور القوميات الأوروبية إلا بادرة أمل لليهود أو للقوميين اليهود الذين أخذوا زمام المبادرة متأثرين إلى حد كبير بظهور هذه القوميات، لتبدأ فترة جديدة في تاريخ اليهود، وهي فترة الإحياء القومي.

" وهكذا، مهدت الحركات القومية في المجتمعات الأوروبية في هذه الفترة الطريق لظهور حركة يهودية على غرار تلك الحركات، وفي أواخر القرن التاسع عشر أصبح السؤال المطروح: لماذا لم يفعل اليهود مثلما فعل اليونان والعرب والإيطاليون والمجريون، والبولنديون وغيرهم من الشعوب الأخرى للسعى خلف دولة مستقلة " (2).

ويمكن القول، إن حركة الهسكالا على الرغم من فشلها فإنها كانت المحرك والدافع لشباب اليهود إلى التفكير في مواكبة الحركات القومية الأوروبية، لاسيما وقد انخرط شباب اليهود في ظل حركة التنوير اليهودية في قراءة العلوم المختلفة ومحاكاة الثقافات الأوروبية المتحضرة والدراسات الإنسانية الأخرى، فظهر عدد من المفكرين والسياسيين اليهود ينادون بإنشاء كيان يهودي خالص في ظل المناذاة بحرية الأقليات في أوروبا ؛ ليقضوا على مخاوف الاندماج بين الشعوب التي كانت محل خلاف بين كثير من المفكرين اليهود آنذاك.

" وقد هاجم دعاة الاستنارة أيضاً فكرة المسيح المنتظر ونادوا بأن على اليهود أن يحصلوا على الخلاص بأنفسهم، الأمر الذي فسره الصهيونيون على أنه من الممكن العودة إلى فلسطين دون انتظار لمقدم المسيح. كذلك فإن مفكرى الهسكالا انتقدوا الشخصية

(1) شلومو أفيري: " شيلوت حفراه اومدينيوت بيسرائيل " (فضايا اجتماعية وسياسية في إسرائيل)، مرجع سابق (ص20).

(2) Zachary Lockman ,comarades and gmemies (Arab and Jewish workers in Palestine 1906-1948 , university of california press , july 1996, p.29 □

اليهودية بسبب هامشيتها وطالبوا بتحويلها إلى شخصية منتجة وأكدوا على أهمية العمل الزراعي واليدوي. وهذه قضية ورثها الصهاينة ودعاة معاداة السامية* (□).

وقد أدت كل هذه العوامل إلى تكوين نويات الصهيونية، فتكونت حركات يهودية على أيدى عدد من المثقفين اليهود الذين تأثروا بالحركات القومية الأوروبية وهامت فلسطين في أفق هذه الجماعات الصغيرة التي بدأت تلوح بفلسطين كوطن قومي لليهود، وأصبحت الدعوة إلى الهجرة لفلسطين تمثل المحك الرئيسي والهدف الأسمى لتلك الجماعات، مثل جماعة " البيلو**"، وجماعة " زورو بابل" التي تأسست عام 1883 في أوديسا بزعامة " ليوبنسك" الذي كان هدفه إقناع اليهود في الغرب بالاهتمام بإحياء كيان يهودي مستقل في فلسطين. ومن ثم تأسست جماعة " أحباء صهيون***" أشهر الجمعيات اليهودية التي تأسست في أعقاب أحداث 1881 في روسيا، وتبلورت أركانها بصورة جذبت جموع اليهود، وأخذت من هذه الأحداث ذريعة وحنة للتشجيع على الهجرة والاستيطان في أرض فلسطين.

" وبمرور الوقت تكونت جمعيات (أحباء صهيون) في جاليسيا والنمسا وألمانيا وفرنسا وكندا وإنجلترا وأمريكا. وفي عام 1893 نشر برنباوم كتابا دعا فيه إلى فكرة الإحياء القومي في فلسطين، وأخذ يدعو إلى عقد مؤتمر صهيوني دولي؛ ليشكل حركة سياسية من أجل هذا الهدف. وفي عام 1894 انعقد في باريس مؤتمر للجمعيات الصهيونية في مختلف الدول. ولم تتوقف المطالب باجتماع عام لمؤتمر صهيوني. ولم تتحقق اللبنة الأولى لهذا الهدف إلا على يد تيودور هرتسل الأب الروحي للحركة الصهيونية" (□).

(*) معاداة السامية: اصطلاح رده الفكر الصهيوني لكي يشير إلى ما يدعيه الصهيونيون بوجود عداء دائم من الشعوب الأخرى ضد اليهود الذين يعارضون أبناء سام. برز هذا الاصطلاح في نهاية السبعينيات من القرن التاسع عشر. (انظر: أفرايم ومناحم تلمى، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة أحمد بركات العجومي، دار الجيل للنشر، عمان، 1988، ص 27).

(□) انظر: د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص 44، 43).

(●●) البيلو: هي اختصار للكلمات الواردة في العهد القديم " بيت يعقوب اذهبوا فنذهب ". وهي منظمة شبابية يهودية أسست بروسيا في أعقاب أحداث 1881 التي قام بها الروس ضد اليهود. نادت هذه المنظمة بالعودة إلى فلسطين والاستيطان بها. (انظر: أفرايم ومناحم تلمى، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص 64).

(●●●) محبة صهيون: هي عبارة عن جمعيات صهيونية نشأت قبل تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية، وقد بدأ تأسيسها في روسيا عام (1881) بعد صدور قوانين مايو التي فرضت قيودا على حركة أعضاء الأقلية اليهودية في روسيا مما دفع الشباب إلى الهجرة وإعلان تأسيس جمعيات " أحباء صهيون".

(انظر د. عبد الوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 1975، ص 59).

(□) شموئيل آتنيجر: " تولدوت عم إسرائيل باعت هاחדشاه" (تاريخ شعب إسرائيل في العصر الحديث) دار نشر حفرات دافير، إسرائيل، 1969، (ص 184).

" إن الصهيونية كحركة سياسية لم تهدف إلا إلى توطين اليهود في فلسطين (أرض الميعاد) كوسيلة لحل ما يسمى بالمسألة اليهودية. وكلمة (صهيونية) اشتقها الكاتب اليهودي النمساوي ناتان برنباوم (1864 / 1937) من كلمة (صهيون) ليصف بها هذا الاتجاه السياسي (الجديد) بين صفوف اليهود وغيرهم " (1).

والجدير بالذكر أن زعماء الصهيونية قد فكروا قبل (الاتجاه نحو فلسطين) في مشروعات صهيونية كثيرة لتحقيق هدف إنشاء وطن قومي لليهود ؛ حيث فكروا في استعمار أوغندا وقبرص وبعض دول أمريكا الجنوبية وأستراليا وغيرها. ولكن فلسطين حازت على موافقة أغلبية القادة الصهاينة لاعتبارات دينية وسياسية كثيرة.

" وبالرغم من أن الحل الصهيوني ظهر متفرقاً. فنشر موشيه هس، والحاخام الصهيوني يهودا القلعي وكالisher كتاباتهم وكتبهم متبينة لفكرة الهجرة الاستيطانية إلى فلسطين، فإنه بظهور هرتسل على الساحة عام 1896 تحولت الصهيونية إلى حركة سياسية منظمة واعية بالضغط والضوابط الدولية. فقد اكتشف هرتسل حقيقة بديهية، وهي أنه لتهجير يهود العالم لا بد من الحصول على ترخيص دولي بذلك، مع ضمان دعم إحدى الدول الكبرى " (2).

لقد استغل هرتسل شيوع ما يسمى بمعاداة السامية واتخذ منها ذريعة وحنة ليكسب بها تعاطف دول أوروبا ومساندتها ؛ لتحقيق هدف الصهيونية المحوري إذ كان يقول: " لم تكن مشكلة اليهود مشكلة دينية أو اجتماعية بل هي مشكلة قومية. وينبغي علينا إيجاد حل لها طالما أن جماهير اليهود لا ترغب في الاندماج " (3).

وقد كانت أولى خطواته هي كتابه (دولة اليهود) الذي شرح فيه باستفاضة فكرة وضرورة إنشاء وطن قومي لليهود، يضع حداً نهائياً لما يسمى بمعاداة السامية، ويقضى على الشتات اليهودي نهائياً.

وفي حقيقة الأمر، لم يكن ما يسمى بمعاداة السامية إلا حجة أشاعها اليهود من أجل تعضيد الفكرة الصهيونية ولفت أنظار الشتات اليهودي نحو فلسطين، لاسيما وأن أرض فلسطين كانت دوماً مفتوحة أمامهم حتى وقت الهروب اليهودي من الأحداث السياسية التي وقعت في روسيا، ولكن لم يتجه إلا القليل منهم إليها، وهو ما يعلق عليه شلومو أفيري قائلاً: " لقد كانت معاداة السامية، في الحقيقة بكل مظاهرها في القرن التاسع عشر، قوة دامغة للصهيونية. ولكن علينا أن نشير إلى أنه من خلال مليوني ونصف مليون يهودي في روسيا القيصرية الذين هربوا من الأحداث التي وقعت ما بين عامي 1882

(1) د. عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، دراسة في علم اجتماع المعرفة، عالم المعرفة، الكويت، العدد (60-61) يونيو 1988، (ص 95).

(2) نفس المرجع، (ص 95).

(3) Cohen aharon , Israel and the arab world -W.H.Allen , London 1969 ,p29.

و1914، قد توجهت الأغلبية منهم إلى أمريكا وكندا وإنجلترا، وأمريكا الجنوبية وجنوب أفريقيا. وقلة فقط (أقل من واحد في المائة) هم الذين هاجروا إلى فلسطين، وبهذا فإن الهجرات اليهودية السابقة لن تمثل أدنى نسبة منها توجهت إلى فلسطين، وأقامت بها نواة حقيقية للاستيطان اليهودي الجديد الذي تحول مع مرور الأيام إلى دولة " (١).

" وبدأ هرتسل في تنظيم الجمعيات المختلفة في شرق أوروبا، وتوجه إلى أثرياء الغرب (روتشيلد وآخرين)، ثم دعا إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام 1897 وبعد عدة محاولات ومناورات دبلوماسية فاشلة عرضت إنجلترا مشروع أفريقيا لتوطين الفئات السكانية اليهودي في إحدى مناطق الإمبراطورية، ولكن لم يكتب للمشروع أى نجاح، وفي عام 1917 أصدرت الحكومة الإنجليزية وعد بلفور الذي استمرت الحركة الصهيونية على أثره في المناورة السياسية والنشاط الدبلوماسي خارج فلسطين، وفي النشاط الاستيطاني داخلها إلى أن أنشأت الدولة الصهيونية عام 1948 " (٢).

وما بين أول مؤتمر صهيوني عالمي وحتى قيام دولة إسرائيل توالى المؤتمرات الصهيونية المنظمة التي سعت إلى تحقيق هدف الصهيونية الرئيسي بقيام كيان يهودي خالص، حيث تأسس البنك القومي (صندوق الاستيطان اليهودي) في المؤتمر الصهيوني الثاني عام 1898 وتأسس الصندوق القومي اليهودي الذي خصص لشراء الأراضي في فلسطين في المؤتمر الصهيوني الخامس عام 1901.

ولم تكن المؤتمرات الصهيونية العالمية التي انعقدت على التوالي في منأى عن الخلافات التي وقعت بين القادة الصهاينة لتحقيق الهدف الحقيقي الذي يسعى إلى إنشاء كيان يهودي وضع المؤتمر الصهيوني الأول حجر الأساس له، بدعوى قيام مأوى ليهود الشتات. وعلى الرغم من الاتفاق على تحقيق نسق أيديولوجي واحد وهو إنشاء دولة يهودية في أرض فلسطين، فإنه كانت هناك اختلافات في وجهات النظر بين الزعماء الصهيونيين حول كيفية تحقيق هذا الهدف أو أسلوبيه؛ مما أدى إلى شيوع اتجاهات وتيارات صهيونية عديدة؛ أدت في النهاية إلى انبثاق المدارس الصهيونية المعروفة التي يمكن أن نعرض لها بإيجاز كالتالي:

(١) شلومو أفيرى: " شيتلوت حفراه اومدينوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص13).

(٢) نص وعد بلفور: عزيزى اللورد روتشيلد، يسعدنى أن أبعث إليك باسم حكومة جلالة الملك بيان التأييد التالى تلبية للطلبات اليهودية الصهيونية بعد أن حظى هذا البيان بموافقة الحكومة، إن حكومة جلالة الملك تعد راغبة فى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل قصارى جهدها لتحقيق هذا الهدف بشرط ألا يجرى أى شىء قد يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية أو بحقوق مكانة اليهود السياسية فى أى بلد آخر.

آرثر جيمس بلفور وزارة الخارجية فى 2/11/1917.

(انظر: أفرايم ومناحم تلمى، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص 151).

(٣) د. عبد الوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، (ص 96).

الصهيونية السياسية :

تعد الصهيونية السياسية اتجاهاً في الحركة الصهيونية بزعامة هرتسل . ويرى هذا الاتجاه ضرورة تقديم ضمانات قانونية وبحقوق سياسية شرط مسبق قبل أن يبدأ اليهود بالاستيطان في فلسطين . ومن أجل تحقيق هذا الهدف أسس هرتسل الهستدروت الصهيونية العالمية .

" ويؤمن الصهاينة السياسيون بأن المسألة اليهودية هي مشكلة الفائض اليهودي غير القادر على الاندماج ، ولم تكن اليهودية مشكلة مطروحة بالنسبة لهم (على عكس موقف الصهيونية الدينية الثقافية) . فلا يمكن حل المسألة اليهودية إلا بأن يصبح اليهود شعباً مثل كل الشعوب وقومية مثل كل القوميات " (1) .

الصهيونية التنقيحية :

تعد أهم تيارات الصهيونيات السياسية ، ويعد هذا التيار الصهيوني استمراراً لفكر هرتسل والصهيونية السياسية ، ويعد جابتونسكى المفكر الأساسى لهذا التيار . ويؤمن الصهيونيون أصحاب هذا التيار بأن " معاداة السامية " وفشل الاندماج هما اللذان أديا إلى ظهور حركة القومية اليهودية والصهيونية ، ويرون أن المشكلة مشكلة يهود وليست مشكلة يهودية ، وينظرون إلى اليهودية على أنها تراث تاريخي يمكن الاستغناء عنه تماماً ، ويتفقون مع هرتسل على تغليب الجانب القومي على الجانب الديني .

الصهيونية العمالية (الاشتراكية) :

يؤمن الصهيونيون العماليون أو الاشتراكيون بأن ما يسمى بالمسألة اليهودية هي مشكلة فائض سكاني يهودي غير قادر على الاندماج ، وليست مشكلة الديانة اليهودية فقط ، أى أنها مشكلة الوضع الاقتصادي والاجتماعي لبعض قطاعات اليهود ... وتلخص المشكلة ، حسب التصور الصهيوني العمالي ، في أن التركيب الاجتماعي والحضارى لليهود يختلف عن التركيب الاجتماعي والحضارى للشعوب التي يعيشون بينها . ومن هنا فليس هناك حل إلا الهجرة ، وفي رأى سيركين مؤسس الصهيونية الاشتراكية ، أنه ينبغي تشكيل الدولة

(•) الهستدروت الصهيونية العالمية : أسسها بنيامين زئيف هرتسل خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول الذى عقد ببازل في سويسرا عام 1897 . وقد حدد المؤتمر الأول هدف الحركة الصهيونية = ضمن مشروع بازل ، وهو أن الصهيونية تصبو لأن تقيم للشعب اليهودي وطناً فى فلسطين يكون مضموناً بموجب القانون العام . (انظر : أفرايم ومناحم تلمى ، معجم المصطلحات الصهيونية ، مرجع سابق ، ص 121) .

(□) د . عبد الوهاب المسيرى : الأيديولوجية الصهيونية ، مرجع سابق ، (ص 96) .

اليهودية على أساس تعاوني أى تأسيس الاقتصاد على أساس العون المتبادل وعلى ملكية العمال لوسائل الإنتاج أو ملكية المستهلكين لمؤسسات التمويل .

الصهيونية الدينية :

تنطلق الصهيونية الدينية من معارضة فكرة انتظار اليهود "للمسيح المنتظر" أو "المسيح المخلص" ليقودهم صوب أرض فلسطين، تلك الفكرة التي اعتمد عليها يهود الشتات على مدى عقود كثيرة. ودعا الصهيونيون الدينيون إلى إقامة مستوطنات في فلسطين كمقدمة لظهور المسيح المنتظر .

الصهيونية الروحية :

قاد أحاد هاعام أحد زعماء الصهيونية هذا التيار الصهيوني، فقد كان يرى أن حل المسألة اليهودية لن يأتي إلا بإنشاء مركز روحي يكون مركزاً ثقافياً وتعليمياً لليهود في الشتات وحصناً منيعاً في وجه خطر الاندماج الذي هدد يهود الشتات، أى أنه يجب تأهيل قلوب اليهود أولاً في البعث الروحي والأخلاقي لليهود. ورأى أحاد هاعام أن أرض فلسطين لن تحل المشكلة اليهودية إلا بإنشاء هذا المركز القومي الروحي، وبالاستيطان العملي في فلسطين بمعدل معتدل (1).

الصهيونية العملية :

رأى الصهيونيون العمليون أن حل ما يسمى بالمسألة اليهودية لن يتم إلا عن طريق جهود اليهود الذاتية والعملية لا عن طريق المناورات السياسية والدبلوماسية وكان فايتسمان من أهم قادة هذا الاتجاه .

أهداف الصهيونية :

سعت الأيديولوجية الصهيونية منذ الإرهاصات الأولى إلى تحقيق عدة أهداف لحل ما يسمى بالمسألة اليهودية، ويمكن القول، إنه على الرغم من اختلاف الآراء والتناقضات بين التيارات الصهيونية باختلاف مدارسها، فإن هناك اتفاقاً واسعاً بينها حول الأهداف المرجوة. فلم يكن الاختلاف بين هذه التيارات إلا اختلافاً فقط في كيفية وأسلوب تحقيق الأهداف الصهيونية ويمكن لنا أن نعرض بإيجاز لأهداف الصهيونية، بصرف النظر عما تحقق منها أو لم يتحقق بعد، في النقاط التالية :

(1) "الاتجاه نحو فلسطين" كان شعاراً صهيونياً اتفق عليه الجميع من أجل قيام كيان يهودي خالص أو وطن قومي لشتات اليهود. ورأى الزعماء الصهيونيون أن أرض فلسطين هي أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. واتجهت الأنظار إلى أرض فلسطين

(1) انظر : أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، (ص 382).

لا اعتبارات دينية يهودية وسياسية أيضاً ولا اعتبارات تاريخية حسبما يزعم الصهيونيون، حيث أشاع هؤلاء وجود نزعة تاريخية تربط بين يهود الشتات وأرض فلسطين.

" كما أن الوعد الإلهي والأنبيائي لبني إسرائيل بإنهاء تشتتهم من خلال العودة إلى صهيون، كان هو المبدأ المركزي الذي يحرك الصهيونية، ويضفي عليها صفة الشرعية. ويجرى تفسيره كحق تاريخي (أو واجب) من قبل العلمانيين، وكحق ديني من قبل الصهيونيين الدينيين. وهكذا زرعت الصهيونية في الوعي اليهودي عبر الأجيال فكرة العلاقة الوثيقة التي لا تنفصم بين الهوية الدينية والهدف السياسي لكل مرحلة " (□)

(2) " تجميع شتات اليهود " في أرض فلسطين ودمجهم وذوبانهم فيما عرف بين الزعماء الصهيونيين ببوتقة الانصهار، هو أمر مهم بالنسبة لتحقيق الصهيونية وبدونه لا يمكن قيام دولة لليهود ومن هنا كان تشجيع اليهود في شتى بلدان العالم على الهجرة إلى أرض الميعاد. وعلى هذا الأساس تنظر الصهيونية إلى وجود الجماعات اليهودية المختلفة في الشتات على أنه (منفي).

(3) " نظراً لأن مؤسسى الصهيونية جاءوا أساساً من بين اليهود العلمانيين، الذين لم يكن لديهم حل في مواجهة ما يسمونه (معاداة السامية) العلمانية، فقد طرحوا حلاً علمانياً لهذه المشكلة، وهو (الدولة اليهودية) ارتبط بالسعى الحثيث للتأكيد على مفهوم (الطبيعية) أو (لنكن شعبا مثل سائر الشعوب) " (□)

(4) " باستثناء الجماعات اليهودية الدينية في إسرائيل، فإن الصهيونية تؤكد على القيم المادية وتميل إلى ترجمة القيم الدينية إلى مفاهيم مادية. فشعب إسرائيل قيمة، ولكن البعد القومى فيه أكبر من البعد الدينى، و(أرض إسرائيل) قيمة ولكن يبرز فيها البعد الإقليمي (البيئة والآثار التاريخية والاكتشافات الأثرية) أكثر من مشاهد الأشواق النفسية، وتوراة إسرائيل قيمة ولكنها مجرد دليل على الحق الوراثى لليهود أكثر منها وجهة نظر قيمية أخلاقية أو عقيدة تتحكم في نظام الحياة بوحي من الخالق " (□)

وربما يفسر هذا اعتماد الصهيونية على أسطورة المقرأ (الكتاب المقدس لليهود، التوراة) في حل الصراع العربى الإسرائيلي، ورفعها لشعار (عيسو يكره يعقوب).

(□) د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 224، أغسطس 1997، (ص 213-214).

(□) د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 214).

(□) نفس المرجع، (ص 215).

- (5) سعت الصهيونية إلى خلق نمط يهودى جديد غير نمط اليهودى الجيتوى فى محاولة منها لإعداد جيل من الورثة الشباب يأتى من بعد جيل المؤسسين لاستكمال المسيرة، فجاءت شخصية الصبار .
- (6) هدفت الصهيونية أيضاً إلى ترسيخ مبدأ المصير المشترك لليهود دولة إسرائيل مع اليهود فى كل مكان فى العالم فى محاولة منها لاستغلال بعض نفوذ اليهود بالخارج للعمل من أجل مصلحة دولة إسرائيل ومساندتها .
- (7) " بما أن صهيون أو (أرض إسرائيل) حسب التوراة، هى الرمز الرئيسى للصهيونية، فإن " هاعلياه "، أى الهجرة، هى الطقس الأول فى الصهيونية، وهى حق لجميع اليهود والتزام يترتب على كل صهيونى، فإن محك تمسك بالمعتقد الصهيونى، هو موقف اليهودى من (قانون العودة) الذى يضمن تلقائياً حق المواطنة الإسرائيلية لكل يهودى يهاجر إلى إسرائيل " (1).
- (8) أكد زعماء الصهيونية مراراً وتكراراً فى المراحل المختلفة من تكوين الصهيونية كحركة أن أهداف هذه الحركة سوف تقوم بالطرق السلمية والدبلوماسية المختلفة، ولم تكن الحرب يوماً ضمن الأهداف الصهيونية المعلنة، وهو ما لم يحدث على أرض الواقع . وهكذا، وضع الآباء المؤسسون للأيدولوجية الصهيونية هذه الأهداف نصب أعينهم، وحاولوا تحقيقها بشتى الوسائل الدبلوماسية الشرعية وغير الشرعية . وربما لم يخطر ببالهم ذات يوم أن مفردات أيدولوجيتهم سوف تخضع لمراجعة شاملة ودقيقة لكل إخفاقاتها من قبل الأجيال المتعاقبة، تماماً مثلما حدث مع مطلع الثمانينيات، وبداية التسعينيات من القرن العشرين .
- وقبل أن نتعرض لموجات النقد اللاذعة التى تعرضت لها الأيدولوجية الصهيونية قبل أن تدنو من تحقيق كل أهدافها، لا يمكننا أن نغفل حقيقة بعض الإنجازات التى نجحت الصهيونية فى تحقيقها منذ المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بازل بسويسرا عام 1897

(●) الصبار : أخذ ذلك المصطلح يتردد فى أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة واستخدم للمرة الأولى فى مدرسة " هرتسليا " الثانوية فى تل أبيب، وهى مدرسة كانت تضم بين تلاميذها اليهود شباناً من مواليد فلسطين إلى جانب الذين هاجروا مع آبائهم، والذين كانوا غالباً ما يتفوقون على أولئك المولودين فى فلسطين بسبب قدامهم من حضارة أكثر تقدماً . وفى محاولة لتعويض الشعور بالنقص كان اليهود من مواليد فلسطين، يلجأون إلى الإمساك بشمرات التين الشوكى وتقشيرها بأيديهم، ويدخلون فى مسابقات التقشير هذه مع أبناء المهاجرين، وكانت تنتهى عادة بأن يكسب أبناء اليهود من مواليد فلسطين هذا التحدى، ويتمكنون من نزع القشرة الشائكة ليحصلوا على الثمرة الحلوة . ومن هنا التصقت كلمة " التين الشوكى " (الصبار) بهذه الفئة من اليهود مواليد فلسطين، ثم انتشرت التسمية لتغضى ما يسمى بجيل " الصباريم " الذى أصبح يقصد به أولئك اليهود الذين ولدوا فى فلسطين على الرغم من تحلفهم الحضارى، فإنهم أكثر قدرة على تحمل المشاق . (انظر : د . رشاد عبد الله الشامى : عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب 1967، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1990، ص 29).

(□) د . رشاد عبد الله الشامى : إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 214).

وحتى يومنا هذا. حيث كان حلم الصهيونية الأولى التي سعت إلى تحقيقه منذ أول مؤتمر صهيوني لها، هو إنشاء كيان يهودي مستقل على أرض فلسطين، وقد نجحت الصهيونية بالفعل في تحقيق هذا الهدف أو الحلم؛ فخرجت دولة إسرائيل إلى حيز الوجود في 15 مايو 1948. وقد سبق هذا الأمر بعض الإنجازات التي كان للصهيونيين الأوائل باع طويل في تحقيقها كتمهيد لانتزاع أرض فلسطين، وإعلان قيام دولة لليهود على حساب هذه البقعة من الأرض العربية. وقد تحقق هذا من خلال:

(1) **الهجرات الصهيونية الخمس**: شكلت الهجرة أهم عنصر من عناصر الاستعداد الصهيوني لاحتلال فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها، حيث نظر زعماء الصهيونية إلى جميع الشتات اليهودي داخل فلسطين نظرة اهتمام بالغ؛ لما تشكله تلك الجماعات اليهودية من تكتل يؤدي إلى أغلبية يهودية في فلسطين تكون عماداً ومرتكزاً للدولة اليهودية. وقد لعبت الوكالة اليهودية دوراً فاعلاً في استدراج اليهود ناحية فلسطين، فبالإضافة إلى الهجرات السرية أو غير الشرعية، كانت هناك الهجرات الصهيونية الخمس المعروفة (□):

أ- الهجرة الأولى، واستمرت خلال الفترة من عام (1882 - 1903)، ووصل تعدادها حوالي 25 ألف مهاجر يهودي.

ب- الهجرات الثلاث اللاحقة، وهى الهجرة الثانية (1904 - 1914) وكانت تعدادها 40 ألف مهاجر يهودي معظمهم من الشباب اليهودي المتحمس، والهجرة الثالثة (1919 - 1924) وكان 45% منهم من المهاجرين من روسيا، و30% من بولندا، والهجرة الرابعة (1924 - 1934) كان نصفها من بولندا، وخمسها من روسيا، والخمس الباقي من باقي أنحاء أوروبا.

ج- الهجرة الخامسة (1932 - 1938) وحملت إلى فلسطين 217 ألف يهودي، وكانت أقل صهيونية. " وقد تم ربط هذه الهجرات اليهودية التي كونت المستوطنات بعناصر ثلاثة: ادعاء الحق التاريخي، وفكرة الخلاص اليهودي، والأرض المختارة... ونجح الفكر الصهيوني في إقناع اليهود بأن الاستيطان في فلسطين ليس مجرد ضرورة قومية بل لإثبات الذات، ولإظهار قدرة التفوق لدى الإنسان اليهودي " (□).

(2) **وعد بلفور**: لجأ هرتسل في بداية الحركة الصهيونية إلى الخلافة العثمانية التي كانت فلسطين جزءاً من المناطق التابعة لها، في محاولة للحصول على حق فتح باب الهجرة أمام

(□) انظر: د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص 86).

(□) د. عبد الخالق عبدالله جبة: إسرائيل - الإستيطان والكيان، دراسة نقدية لسيرة مجال ألون الذاتية، مجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد 16، يوليو 1994، (ص 22).

اليهود إلى فلسطين، ولكنه فشل في ذلك، وقد حاول البحث عن بديل في منطقة العريش وسيناء عن طريق الإنجليز الذين كانوا يحتلون مصر آنذاك، ولكنه فشل في ذلك أيضاً. وبعد وفاته في عام 1905 كان قد أعطى درساً ظل ركناً أساسياً من أركان السياسة الصهيونية، وهو ضرورة الاعتماد على الدولة العظمى القوية لمساندة أهداف الصهيونية والعمل على تحقيقها. وبعد موت هرتسل واصل حاييم وايزمان المسيرة حتى استطاع الحصول على ما يعرف بـ (وعد بلفور) الشهير من وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت جيمس بلفور الذي يقضى بالعمل من جانب بريطانيا على مساعدة اليهود لإقامة كيان يهودي لهم في فلسطين، وعرف هذا التصريح باسمه في 2/11/1917.

(3) إقامة المستوطنات اليهودية: نجحت الصهيونية نجاحاً ملحوظاً في دفع جموع اليهود إلى الاستيطان في فلسطين وشراء الأراضي العربية من الفلسطينيين في محاولة لوضع حجر الأساس للاستيطان الصهيوني الذي تحقق على أيدي الرواد الصهيونيين فيما عرف بالريادة، أو الطليعة " حالوتسيوت " حيث قام هؤلاء بشراء قطعة أرض وأنشئوا عليها أول مستعمرة زراعية لليهود وهي مستعمرة بيتح تكفاه (بوابة الأمل) ثم توالى بعد ذلك إنشاء المستوطنات مثل (ريشون لتسيون) و(زخارون يعقوب) و (روش بيناه)، وغيرها من المستوطنات الصهيونية. وقد ساعد على ذلك تأسيس كيرن قاييمت (الصندوق القومي اليهودي) في المؤتمر الصهيوني الخامس عام 1901، الذي خصص لشراء الأراضي العربية في فلسطين.

(4) خلق مؤسسة عسكرية صهيونية: كانت مسألة الحفاظ على المنجزات الصهيونية موضع اهتمام الرواد الصهيونيين، لاسيما وأنهم كانوا يدركون تماماً ضراوة المقاومة العربية حال تنفيذ مشروعاتهم الصهيونية على أرض فلسطين. ومن هنا نجحت الصهيونية في تكوين نويات عسكرية صهيونية من الشباب اليهود المهاجرين، شكلت فيما بعد الأعمدة الأساسية لجيش إسرائيل بعد قيام الدولة، حيث توالى عمليات إنشاء المنظمات العسكرية الصهيونية بعد مجيء لهجرات الصهيونية إلى فلسطين، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي: (□)

(●) هيخالوتس : (الرائد - الطليعي)، وتعني ذلك الجزء من الجيش الذي يسير في المقدمة، وتعني في المجال الاستعماري أول من يقوم بالاحتلال أو من يشق الطريق أمام من يأتون بعده وهو اصطلاح أطلق على المجموعة اليهودية التي هاجرت إلى فلسطين من أجل تحقيق الحلم الصهيوني عن طريق العمل اليدوي الشاق. ويشيع استخدام هذا الاصطلاح في المصادر العربية بكلمة (رائد - طليعي) والإشارة إلى " دور الحالوتسيم " على أنه " جيل الرواد. (انظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص 81) (□) انظر: أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، (ص 245).

الهاجاناه: منظمة عسكرية إسرائيلية، تأسست بعد عام (1917) بزعامة البولوني " ولهلم رابيل " كان شعارها " فلسطين لليهود " .
إتسل: (المنظمة العسكرية القومية)، وهي منظمة يهودية مسلحة قامت عام (1931) بالاشتراك مع جماعة مسلحة من " بيتار " و " الهاجاناه " احتجاجاً على سياسة " الهاجاناه " الدفاعية .

لحي: وهي منظمة " المحاربون من أجل حرية إسرائيل " . وقد تشكلت هذه المنظمة من جماعة يهودية سرية عام (1940) على أيدي " افراهام شتيرن " .
البالماح: هي اختصار الكلمة العبرية " بلوجوت ماحتس " (سرايا الصاعقة)، وقد تكون في عام (1941) وارتبطت بحركة " الكيبوتس " وحزب " المابام " . وكان يتميز أفراد هذه القوة العسكرية اليهودية بقدر كبير من التثقيف السياسي الذي يركز على مبادئ الصهيونية الاشتراكية .

(5) **قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين:** كان قرار تقسيم فلسطين الصادر من الأمم المتحدة في الرابع والعشرين من نوفمبر عام 1947 من أهم الإنجازات الصهيونية التي تحققت من خلال المساعي الدبلوماسية لرواد الحركة الصهيونية لدى القوى السياسية المؤثرة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية وخصوصاً أمريكا وفرنسا وبريطانيا وروسيا . حيث استغل رواد الصهيونية هذا القرار وبدءوا يعملون في إطار شرعى لكسب المزيد من الأراضي الفلسطينية، حتى استطاعوا الحصول بعد حرب 1948 على ما يقرب من عشرين في المائة زيادة في الأرض عن قرار التقسيم . وقد مهد هذا القرار الطريق لقبول دولة يهودية وليدة بين أسرة الشعوب في المنطقة العربية، وتلاه بعد ذلك قيام دولة إسرائيل في 15 مايو 1948 التي حظيت باعتراف كثير من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة .
وهكذا، نجح الرواد الصهيونيون الأوائل في تهيئة المناخ الدولي المناسب لتحقيق حلمهم الكبير بإقامة دولة لليهود، وبعد اندلاع حرب 1948 التي يطلقون عليها في الفكر الصهيوني (حرب الاستقلال) جنحت منطقة الشرق الأوسط نحو منعطف خطير، حيث توالى الحروب الإسرائيلية العربية بدءاً من هذه الحرب التي شكلت الشرارة الأولى لاندلاع سلسلة من الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد الدول العربية المجاورة، في محاولة لإثبات الوجود وتثبيت أركان الدولة اليهودية والحصول على مزيد من الأراضي العربية .

(●) **مابام (حزب العمال الموحد):** حزب صهيوني طلائعي ذو ميول يسارية متطرفة، أنشأ في عام 1948 عن طريق توحيد توحيد حزبي (الحارس الفتى) و (اتحاد العمال - عمال صهيون) . وقد جاء في اتفاقية توحيد الحزبين أن الحزب موحد حول الأسس الفكرية، والأهداف العملية وحول الاعتراف بهدف ودور العمال في العالم . (انظر: نفس المرجع، ص 290) .

ويمكن القول، إن حرب 1948 كانت بمثابة نقطة تحول كبيرة في تاريخ الحركة الصهيونية التي أكدت مراراً وتكراراً على تحقيق أهدافها بالطرق السلمية المختلفة، ثم تكشف لهؤلاء اليهود حقيقة تمسك الفلسطينيين بالوجود في هذه الأرض. وتعد هذه الحرب أيضاً بمثابة نقطة تحول كبيرة على المستوى الشخصي والإنساني بالنسبة لمن خاض هذه الحرب من الشباب الإسرائيليين حيث وجد هؤلاء أنفسهم، مع بدء المعارك العسكرية متأرجحين ما بين المثل العليا والأخلاق الإنسانية وبين الواجب العسكري الذي يلزمهم بالقيام بأعمال القتل والطرده وسفك الدماء ضد المواطن العربي الذي عاش معهم جنباً إلى جنب قبل قيام الدولة وبدء العمليات العسكرية ضد القرى العربية، مما شكل لهم ما يمكن أن نطلق عليه بالورطة الأخلاقية. ومن هنا أدرك بعض اليهود حقيقة الصهيونية التي دفعت بهم نحو منعطف خطير، هدد حياتهم وجعلهم في وضع الاستعداد الدائم للحرب القادمة، لتأتي حرب تلو الأخرى لتجعل الإسرائيليين في حالة من الصدام العنيف ليس فقط مع الفلسطينيين أهل البلاد الأصليين، بل مع العالم العربي الذي يحيط بهم. وقد شكلت نتائج حرب 1967، مع اتساع رقعة الأرض التي تسيطر عليها إسرائيل مخاوف عظيمة في قلوب قطاعات واسعة داخل المجتمع الإسرائيلي، وبدأ العرب الفلسطينيون يشكلون بالنسبة لهم عدواً يمكن أن ينقض عليهم في أية لحظة. وقد شملت هذه الحياة الإسرائيلية المغلقة جيلاً كاملاً، منذ حرب 1948، عاش في ظل الحرب والحصار المستمرين، الأمر الذي شكل لهم محنة وجودية أصبح من الصعب الفكك منها بكل سهولة، الأمر الذي عمق من مخاوف المجتمع الإسرائيلي من المصير المجهول.

وإذا كان هذا هو الحال الذي نتج عن هذه الحرب التي انتصرت فيها إسرائيل على الجيوش العربية، فإن حرب 1973 التي منيت فيها العسكرية الإسرائيلية بهزيمة أكدت لدى الجميع حقيقة جديدة، هي أنه لا يمكن لجيش إسرائيل أن يصول ويجول في الأراضي العربية المحتلة دون أن يدفع الثمن.

ويمكن القول أيضاً، إن الحلقة المفرغة من الحروب التي خاضتها إسرائيل منذ حرب 1948، كانت سبباً مباشراً في اتجاه بعض المفكرين الإسرائيليين لعمل مراجعة شاملة ودقيقة لمفردات الصهيونية التي أوقعتهم في فخ هذه الحروب التي لا طائل منها سوى مزيد من جثث القتلى وزيادة عدد النكالي، ناهيك عن الدمار والخراب في الأرض الموعودة على نحو مخالف لما روجت له الصهيونية. ومع مطلع الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين، بدأ المفكرون الإسرائيليون في مقارنة الواقع المعيش مع أهداف الصهيونية التي تسعى دولة إسرائيل إلى تحقيقها. وتم وضع علامات استفهام عديدة أمام إخفاقات الصهيونية في تجميع الشتات اليهودي داخل إسرائيل، وتفكك المجتمع الإسرائيلي

والصراعات الداخلية التي تمزقه، الأمر الذي جعل بعضهم يتساءل عن حقيقة الصهيونية، وهل هي حركة تاريخية أم لحظة تاريخية؟ أم أنها أيديولوجية كلاسيكية لا تتناسب مع الواقع المعيش في دولة إسرائيل؟ أم أنها استنفذت قواها وفشلت في مواجهة التحديات التي واجهتها؟ كما طرحت التساؤلات عما فعلته في الشتات اليهودي حتى ذلك الحين؟ وهل هناك ضرورة لوجودها؟ إلى غير هذه الأسئلة التي تم طرحها بصراحة ووضوح على الساحة في إسرائيل.

الآراء النقدية للمفكرين الإسرائيليين حول الصهيونية:

كان مطمح الصهيونيين الأوائل منذ الإرهاصات الأولى لسعى الأيديولوجية الصهيونية لتحقيق أهدافها، هو العمل على نجاح المشروع الصهيوني وإخراجه من حيز المشروع إلى مرحلة التحقيق لحل ما يسمى بالمسألة اليهودية. وربما لم يخطر ببال أحد من الصهاينة، بعد أن حققت الصهيونية هدفها الأسمى، وهو إقامة دولة لليهود في فلسطين، أنه سيأتي يوم سيطالب فيه المفكرون الإسرائيليون بالانفصال عنها أو نقدها أو حتى مقبتها واتهامها بأنها السبب في الكثير من المشكلات التي يواجهها الإسرائيليون على أرض الواقع الذي يعيشونه، إلى حد أنه في النهاية ظهر مفهوم جديد للصهيونية تمت الإشارة إليه بمصطلح (ما بعد الصهيونية) ، وهو ما يعنى أن الصهيونية الكلاسيكية هي أيديولوجية قديمة عفا عليها الزمن، ولا ضرورة لوجودها على أرض الواقع بعدما تحققت أهم أهدافها، بينما لم تستطع أن تواجه التحديات التي ترتبت على تحقيق الأهداف والطموحات.

وترى سينتيا أوزيك " أن مفهوم (صهيونية) يشير إلى حركة تاريخية أوروبية، أو بالأحرى، إلى لحظة تاريخية أوروبية، ويشير كذلك، إلى الأرضية التي أنجبت الصهيونية، مثلما أنتجت الليبرالية، والاشتراكية، والقومية... ويمكن تفسير تلك المفاهيم على عدة أوجه، حيث إنها عندما تصل لهدفها، تفقد معناها على أرض الواقع " (□).

وتشير أوزيك كذلك إلى " أن الصهيونية عرفت كحركة قومية، وقد مر الآن على قيام الدولة التي قامت تلك الحركة من أجلها أكثر من خمسين عاماً، فقد ولدت إسرائيل من رحم الصهيونية، ولكنها الآن، باعتبارها دولة، يجب أن تتحرر من المفاهيم التي كانت

(●) ما بعد الصهيونية: يرى بعض المفكرين أن مصطلح (ما بعد الصهيونية) post Zionism إنما يقصد به تلك الكتابات التاريخية التي بدأ بعض المؤرخين الإسرائيليين الذين عرفوا باسم (المؤرخين الجدد) في كتاباتها اعتباراً من بداية الثمانينيات تبعاً، حيث أعادوا كتابة تاريخ الهجرات الصهيونية والصراع العربي الفلسطيني، بعيداً عن الرؤية الصهيونية الرسمية، من جديد في ضوء المعطيات التي كشفت عنها الوثائق الرسمية التي أفرجت عنها السلطات الإسرائيلية.

(□) سينتيا أوزيك: إسرائيل ليست صهيونية بل هي صهيون، صحيفة "هاآرتس" الإسرائيلية، 5-10-1997

سبباً في وجودها ... كما أن استخدام مصطلح الصهيونية اليوم يشير إلى الضعف وعدم الوصول لهدف، أي أنه وضع قابل للتغير. وهو لذلك يتيح التعرض لأخطار خارجية، وبلبلة في القيم، إلى درجة عدم الثقة داخلياً" (□).

وترى أوزيك كذلك، أن هناك ضرورة لاستقلال إسرائيل، وهذا الاستقلال لن يتحقق إلا بالانفصال عن الصهيونية، حيث تقول: " لقد كانت الصهيونية بمثابة معمل تفريخ لإسرائيل، وعندما يتطور الجين يفصل عن أطرافه البدائية، كذلك الحال بالنسبة لصهيون التي يجب أن تنفصل عن أطرافها الفوضوية، ويكون مستقبل الصهيونية هو صهيون ذاتها، لكي يسود الشعور بالاستقلالية التامة" (□).

ويرى مايكل إجتايب، أن هناك أموراً لم تنجح الصهيونية، بعد مرور قرن من الزمان عليها، في حلها، فالخلافات حول أمور عديدة مازالت موجودة بين اليهود أنفسهم وبقوة، حيث يقول: " الآن، وبعد مرور قرن على الصهيونية، يترأى لي تساؤل تم طرحه بشكل لم يتخيله الآباء المؤسسون مطلقاً. فهناك يهود يعدون إسرائيل هي مركز وجودهم، كما أن هناك يهوداً لا يبالون بإسرائيل، بل تثير اشمئزازهم، وهناك من يفسر الرسالة الصهيونية باعتبارها دعوة لاقتسام الأرض مع شعب آخر. وآخرون يؤمنون بأن الرب منح الأرض لهم وحدهم. ومازالت العلاقة بين الشتات والوطن محاطة بالخلافات كدأبها؛ حيث يرغب بعض اليهود في الهجرة إلى الأرض، بينما لا يرغب بعضهم الآخر في ذلك. وهناك في الشتات من يشير على الإسرائيليين أن يمنحوا الأمن لجيرانهم من العرب، وآخرون لا يشيرون بذلك. كل تلك الخلافات لا تتيح حلاً، ولم تقدم الصهيونية رداً على ذلك أو على حتى المسألة اليهودية" (□).

ويضيف مايكل قائلاً: " هناك خلاف أخير لم تتمكن الصهيونية من حله، ألا وهو استخدام العنف في فض الاشتباكات داخل العائلة الصهيونية. على سبيل المثال في النزاع الدائم مع العرب كان هناك خلاف مستمر بين اليهود الذين يؤمنون بأن النظريات التي تدافع عن الحلم الصهيوني من شأنها أن تلوثه، وبين أولئك الذين لا يعتقدون ذلك ... والسؤال الحقيقي هنا هو، هل استطاع الحلم الصهيوني أن يبرر العنف ضد اليهود الآخرين. ومن دواعي أسف معظم اليهود أنه استطاع ذلك بالفعل. فقد اغتيل رئيس

(□) سنتيا أوزيك: إسرائيل ليست صهيونية بل هي صهيون، صحيفة " هآرتس " الإسرائيلية، 5-10-

1997 (□) سنتيا أوزيك: نفس المرجع.

(□) مايكل إجتايب: في الطريق إلى الصهيونية الحقيقية، صحيفة " هآرتس " الإسرائيلية، 6-10-1997

الوزراء إسحاق راين • قتل يهودي يهودياً آخر باسم صهيون، كما أن الانتخابات تحسم بواسطة السلاح" (□).

أما والتر لاكوير، فإنه ينظر إلى الصهيونية على أنها حركة ضمن الحركات القومية تحول حلمها إلى واقع سياسي، ولكن دولة إسرائيل، تلك الدولة التي حلم بها الصهيونيون الأوائل لم تكن هي الحلم ذاته؛ فقد ابتعدت كثيراً عن الدولة التي حلم بها هؤلاء الصهيونيون. ويقول لاكوير: "عندما ألفت كتاب A History of Zionism (تاريخ الصهيونية) في أواخر الستينيات، كان هناك بعض زعماء الحركة الصهيونية مازالوا على قيد الحياة، وقد أصيب كثير منهم بالإحباط بسبب نتائج هذا المشروع الذي كرسوا حياتهم من أجله. لأن دولة إسرائيل الحديثة لم تكن على النحو الذي تحدث به عنها هرتسل في روايته اليوتوبية" (□).

وعن مدى نجاح الصهيونية في تجميع الشتات اليهودي داخل إسرائيل يقول لاكوير: "عندما سألت جرشوم شولام عن سبب اتجاهه للصهيونية، تردد قليلاً ثم أجاب: (لأنني أردت وضع حد لجنون السفر المرضي عند اليهود. لكنهم الآن يسافرون أكثر من أي وقت مضى) ... لقد قامت الصهيونية كرد فعل ضد معاداة اليهودية، إلا أنها كانت أيضاً بمثابة تمرد ضد أسلوب الحياة اليهودي البائس، وخصوصاً في شرق أوروبا. وكانت تمثل حلماً بمجتمع جديد وميلاداً لجنس يهودي جديد (ليس بالمعنى البيولوجي). واليوم، وبعد مرور 100 عام على بازل، توجد حركة قوية، وخصوصاً في إسرائيل، لا تعارض الاندماج فحسب بل تعارض التحرير أيضاً، وتنادي بالعودة إلى الشتل (حتى إذا كان الشتل مع وجود الإنترنت)... ومن هذا المنطلق فإن الفجوة بين الحلم والواقع كبيرة بالفعل مثلما أشار جرشوم شولام" (□).

ويتساءل لاكوير عن مستقبل الصهيونية في هذا الوقت، وعن دور الشتات اليهودي في بناء مستقبل الدولة، ولكنه لا يعتقد أنه مستقبل مشرق أو مبشر، حيث يقول: "هل هناك مستقبل للصهيونية؟ فيما يبدو أن الصهيونية قد وصلت إلى ذروتها في عام 1948، مع قيام الدولة، ثم مع الهجرة من الاتحاد السوفيتي السابق. حيث لم تتبق جماعات يهودية

(•) إسحاق راين: رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، وهو من اليسار الإسرائيلي، وينتمي إلى حزب العمل، وقد تم اغتياله في عام (1995) على يد "مجال عامير" أحد المتطرفين الإسرائيليين بسبب اتفاقيات السلام التي أجراها مع الفلسطينيين.

(□) مايكل يجنتاب: في الطريق إلى الصهيونية الحقيقية، مرجع سابق.

(□) لاكوير: القصة التي بدأت في بازل، صحيفة "هاآرتس" الإسرائيلية، 7-10-1997

(□) نفس المرجع

كبيرة يمكن أن تتجمع الآن (ومن يصدق ولو للحظة أن يهود أمريكا يمكن أن يهاجروا لإسرائيل؟) " (□).

جماعات رفض الصهيونية

منذ المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل عام 1897، والمنظمة الصهيونية العالمية تطرح نفسها على أنها المنظمة الوحيدة التي عبرت عن آمال اليهود، وحولت تطلعاتهم إلى برنامج سياسي قابل للتنفيذ بالفعل، وقدمت الصهيونية نفسها منذ البداية كمتحدث رسمي لجموع اليهود في بلاد الشتات. وبعد مرور عدة سنوات على بداية أول مؤتمر صهيوني، وبعد أن بدأ البرنامج الصهيوني يدخل في أطواره التنفيذية بتحقيق بعض النجاحات مع بداية موجة الهجرات الصهيونية إلى فلسطين وقيام الدولة، ظلت الصهيونية تتحدث من هذا المنطلق متناسية وجود بعض جماعات الرفض الصهيوني، وأن دولة إسرائيل لا تضم كل اليهود حتى الآن، لأسباب أيديولوجية أو عقائدية، وأن من هاجروا إلى أرض فلسطين كانت تختلف استجاباتهم للصهيونية باختلاف الظروف الحضارية والأهداف الشخصية. " فبعض اليهود هاجروا إلى فلسطين للاستيطان فيها لأسباب دينية. وقد هاجر معظم يهود البلاد العربية لأسباب اقتصادية سعيًا وراء الرزق أو لأسباب سياسية ... لذلك حينما نتاح لهؤلاء المهاجرين فرصة الفرار من أرض الميعاد إلى أرض الفرص الاقتصادية في الولايات المتحدة فإنهم يفعلون ذلك دون تردد ... إن اليهود سواء في الشرق أو الغرب، لم يتقبلوا الصهيونية تقبلاً أعمى، وإنما كانت تختلف استجاباتهم لها باختلاف الظروف والانتماء الحضاري أو الطبقي. فهناك بطبيعة الحال اليهود الصهاينة المؤمنون بالصهيونية كحل لما يسمى بـ " المشكلة اليهودية " في العالم لأن هذه الحركة تحدم مصالحهم الاقتصادية أو النفسية والحضارية، لكن كان هناك أيضاً يهود كثيرون في بلدان عديدة في أوروبا وأمريكا حاولوا التملص من الصهيونية، وكان هناك من اليهود من لهم تحفظات عليها، وكان هناك من رفضوها رفضاً كاملاً عن وعي أو عن غير وعي " (□).

ومن هنا يمكن تقسيم جماعات رفض الصهيونية إلى الاتجاهات التالية:

(1) الرفض الديني للصهيونية:

ينبع الرفض الديني للصهيونية من خلال فكرتي (الخلاص) و(الاختيار)، فإذا كانت الصهيونية ترى أن اليهود هم شعب مثل سائر الشعوب يجب ألا يخضعوا إلا للقانون

(□) نفس المرجع

(□) هدى عبد السميع حجازي: بعض كلاسيكيات الرفض اليهودي للصهيونية، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (14) - العدد الأول، أبريل-مايو- يونيو 1983، (ص 147).

العلماني فقط، وأن المسائل الدينية والمحافظة على الوصايا اليهودية هي أمور تعوق تحرر الإنسان اليهودي وتعرقله عن مواصلة التقدم الحضاري والإنساني، فإن اليهودية ترى عكس ذلك تماماً وهو الأمر الذي مثل منذ الإرهابات الأولى للصهيونية صداماً مباشراً بين الحاخامات اليهود والقادة الصهاينة .

" وعندما ظهرت الصهيونية، أول ما ظهرت على المسرح السياسي الدولي، كانت الاستجابة اليهودية لها أبعد ما تكون عن الترحيب، واتخذت المنظمات اليهودية الرئيسية من الصهيونية موقفاً معارضاً أو موقفاً غير صهيوني، وأعلنت اللجنة التنفيذية لمجلس الحاخامات في ألمانيا عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول اعتراضها على الصهيونية، على أساس أن فكرة الدولة اليهودية تتعارض مع عقيدة الخلاص اليهودية، واتخذت كافة المنظمات اليهودية في إنجلترا وأمريكا مواقف مماثلة تعبر فيها عن رفضها للتفسير الصهيوني لليهودية على أنها انتماء قومي معلنين أن (إعلان فلسطين وطناً قومياً لليهود سيكون جريمة في حق الرؤى العالمية لأنبياء اليهود وقادتهم العظماء) " (□) .

وقد بدأت الأزمة الدينية اليهودية عندما حاولت الصهيونية تحويل معنى الخلاص لدى اليهود على أساس أن الفكرة الصهيونية هي امتداد لفكر الخلاص في اليهودية، وقد سعت لتحقيق ذلك من خلال استغلال الظروف السياسية وتحويل المعنى الديني للخلاص إلى مضمون علماني يرفضه اليهود الدينيون .

" وتتلخص هذه الأزمة الدينية التي سببتها الصهيونية نتيجة لهذا التفسير الجديد الذي قدمته لمعنى الخلاص، في أن الديانة اليهودية صورت الخلاص في صورة لقاء بين الإنسان اليهودي وإلهه، والفكرة دينية حشرية بمعنى أن هذا اللقاء المنتظر هو من بين الأحداث التي سيتم وقوعها بعد نهاية العالم، أو كما يسميها بعض علماء الأديان بالأشياء الأخيرة أو بأحداث ما بعد الموت " (□) .

وقد نظر بعض اليهود الدينيين إلى الصهيونية وقيام الدولة على أنهما يمثلان (التعجيل بالنهاية) وهو ما يعارض الأمر الإلهي بانتظار المسيح المخلص، " وعلى الرغم من أن الصهيونية قد حققت هدف العودة بإنشائها لدولة إسرائيل فإن الصهيونية لم تحقق الخلاص المنتظر، ولم تغن عن قدوم المسيح المخلص، إذ لا يزال حال اليهود في العالم وموقفهم متوتراً وحساساً كما أنهم لا يزالون مشتتين في أنحاء العالم. وأن من يقول بأن الصهيونية جمعت شمل اليهود أو ستجمع شملهم فهو خاطئ، وعلى هذا فالاعتقاد في أن الصهيونية إتمام للفكر الخلاصى اليهودي، أو إنجاز له إنما هو من صنع خيال بعض المتطرفين من

(□) انظر: د. عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، (ص 228).

(□) د. محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (4)، (ص 21).

الصهيانية الذين اهتموا فقط بالجانب التنفيذي لفكرة الخلاص الذي حولوه إلى خلاص علماني يحدث في العالم، ولا علاقة له بنهاية الأيام " (□).
وقد أثارت الصهيونية كذلك في تعرضها لمفهوم (الاختيار) لدى اليهود بعض الشكوك
فمفهوم (الاختيار) له أصوله الثابتة في الديانة اليهودية، فاليهود هم شعب الله المختار
وتربطهم بالرب علاقة خاصة، واليهودي مختار من قبل الرب الذي اصطفاه من بين جموع
البشر وفضله عليهم، وهو ما يتعارض مع محاولات الصهيونية في مساواة الشعب اليهودي
بسائر الشعوب، إذ كيف تهدم فكرة (الاختيارية) من قبل هؤلاء الصهيانية العلمانيين.
وينبع الرفض اليهودي للصهيونية من أن " فكرة الاختيار الديني عند الصهيانية قد تحولت
إلى أفكار عنصرية سياسية، فيصير العنصرى اليهودى عنصراً متفوقاً، ويمنح هذا التفوق
اليهود حقوقاً معينة تجب حقوق الآخرين؛ ولذا يصبح من حقهم الاستيلاء على فلسطين
وطرد سكانها، وبدلاً من أن يخضع اليهودي لقوانين ديانته فإن عليه أن يخضع للقوانين
العلمانية السائدة بغض النظر عما إذا كانت تتفق مع القوانين الدينية أم لا. وإذا كان
المتدينون ينظرون إلى اللغة العبرية باعتبارها لغة دينية يحرم استخدامها في الشؤون الدنيوية،
فإن الصهيانية قد جعلوا منها لغة الحديث اليومية في الوطن الصهيونى ثم جعلوها اللغة
الرسمية للدولة " (□). ومن هنا يبقى السؤال الذى يطرحه اليهود الراضون للصهيونية: " ما
حكمة الاختيار إذا فسرت الصهيونية مفهوم (نهاية الأيام) على أنه اشتراك اليهودى
بنصاب في مجتمع المساواة. وإذا تساوى مع الآخرين فما قيمة الاختيار؟ " (□).

وتلك هي أهم الجماعات اليهودية الدينية المعارضة للصهيونية:

(أ) جماعة ناطورى كارتا = (حراس المدينة) :

تعد ناطورى كارتا من أشهر الجماعات اليهودية التي تجاهر بعداؤها الشديد للصهيونية
والدولة. " وهى منظمة دولية تضم اليهود المتدينين فى الولايات المتحدة وكل أنحاء العالم
الذين يعارضون الصهيونية والدولة الصهيونية بشكل مبدئى لا مهادنة فيه ولا مساومة،
وأكبر تجمع لهم فى حى بروكلين فى نيويورك وفى حى بناى براك فى القدس ... وهى
تدعو لإسقاط دولة إسرائيل وإقامة دولة فلسطينية فى كل الأراضى الفلسطينية و تدويل

(□) نفس المرجع.

(□) هدى عبد السمیع حجازى: مرجع سابق، (ص 149).

(□) د. محمد خليفة حسن: الصهيونية وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى، مرجع سابق، (ص 26).

(●) ناطورى كارتا: كلمة آرامية تعنى (حراس المدينة). وقد اتخذت الجماعة هذه التسمية من قصة
وردت فى التلمود أتى فيها أن أحد الحاخامات أرسل اثنين من حواريه لجماعات اليهود المقيمين فى
الأرض المقدسة ليرى ما إذا كانت لديهم معاهد لدراسة التوراة أم لا؟ ولكنهما لم يجدا لا معاهد ولا
طلبة، فطلبوا من أهل المدينة المقدسة أن يرسلوا لهما (الناطورى كارتا) أو (نواطير) أى (حراس
المدينة)، فأتوا لهما برجال الشرطة. وبعد عرض الأمر على الحاخام قال: (هؤلاء ليسوا حراس
المدينة، وإنما هم مخربوها)، إذ إن حراس المدينة الحقيقيين هم هؤلاء الذين يجلسون فى المعابد والمعاهد
الدينية ليصلوا أو يدرسوا التوراة. (انظر: هدى عبد السمیع حجازى: مرجع سابق، ص 150).

القدس، وتتعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية على أنها الممثل الوحيد و الشرعى للفلسطينيين " (□).

" وتعد هذه الطائفة أن الصهيونية تمثل الخطيئة القاتلة ضد الرب ومصير اليهود، ويرون فيها نقياً كاملاً لليهودية الحقة ... وتقاطع الدولة الصهيونية ورموزها وشاراتها وأعيادها وثقافتها وتقاليدها، ويعدون التعاون مع الدولة نوعاً من الضلال والكفر الدينى، والمشاركة فى الانتخابات عملاً وثنياً ومساعدات الحكومة رشاًوى لتغيير مواقفهم ... ويستخدم أعضاء (ناطورى كارنا) اللغة البيديشية (**) فى معاملاتهم اليومية، ويقصرون استخدام العبرية على الصلاة والتعليم الدينى ... ويمتنع أعضاء هذه الطائفة عن أداء الخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلى ... وترتبط هذه الطائفة بعلاقات ودية وطيبة مع السلطة الفلسطينية ويرفعون العلم الفلسطينى على مقرهم ... وينظرون لدولة إسرائيل باعتبارها ثمرة الغطرسة الآتمة، لأنها قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الرب وإرادته بإعلانهم إقامة دولة إسرائيل بدلاً من انتظار (المسيح المنتظر) المخول وحدة لإقامة دولة إسرائيل " (□).

(ب) جماعة أجودات يسرائيل (وحدة إسرائيل):

تأسست عام 1922 فى بولندا، ولا يؤمن أتباعها إلا بالتوراة وتعاليمها لحل مشاكل اليهود واليهودية. وقد حاربوا بضراوة الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية. وبعد صدور وعد بلفور 1917 قدموا احتجاجاً إلى عصبة الأمم المتحدة ضد الهيمنة الصهيونية على اليهود فى فلسطين ... ولكن الحركة الصهيونية نجحت مع هذا فى استيعاب الاجودات بعد عام 1948، ولذا فهذا الحزب الدينى لا يرفض الدولة الصهيونية بشكل مبدئى فى الوقت الراهن وإنما يحاول أن يرفض عليها مبادئ الشريعة اليهودية. وأصبح أعضاؤها الآن من المتشددين الذين يصرون على التوسع الصهيونى بعد أن انحطوا فى سلك الصهيونية وانسحبوا من صفوف المعارضة (□).

" وفى عام 1948 تحول (أجودات يسرائيل) إلى حزب إسرائيلى يعمل فى إطار مؤسسات الدولة، عبر موافقته على المشاركة فى مجلس الدولة المؤقت. وقد تم ذلك، بعد منافسات داخلية طويلة بشأن الموقف من الدولة اليهودية، وبعد التوصل جميعاً مع باقى

(□) هدى عبد السميع حجازى: مرجع سابق، (ص 150-151).

(●●) البيديشية: هى لغة خاصة باليهود فى شرق أوروبا عبارة عن خليط من العبرية والآرامية والألمانية وبعض الكلمات السلافية، وتكتب بالخط العبرى. نشأت فى ألمانيا فى القرن الثانى عشر وحملها معهم اليهود إلى بولندا وروسيا حينما هاجروا إلى هناك فى القرن الخامس عشر الميلادى. (انظر: د. رشاد عبدالله الشامى: لمحات من الأدب العبرى الحديث مع نماذج مترجمة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1984، ص 55).

(□) أحمد بهاء الدين شعبان: حاخامات وجنرالات، الدين والدولة فى إسرائيل، نواره للترجمة والنشر، القاهرة، 1996، (ص 111).

(□) هدى عبد السميع حجازى: مرجع سابق، (ص 150).

الأحزاب الدينية، إلى اتفاق مع الأحزاب الصهيونية الأخرى، بشأن بعض الشروط المتعلقة بتمكين التيار اليهودي الأرثوذكس من الحفاظ على أنماطه الحياتية في إطار الدولة الجديدة " (11).

(ج) الطائفة السامرية:

تعد الطائفة السامرية إحدى الجماعات البشرية الصغيرة المغلقة التي تعتنق ديانة منبثقة عن اليهود ويعيش أغلب أعضائها في (جبل جرزيم) قرب نابلس وهم يعلنون أنهم أحفاد اليهود الذين ظلوا في (السامرة) بعد الغزو الآشوري وترحيل اليهود إلى بابل في عام 721 ق. م، وهم يقاطعون استخدام العبرية في الحياة اليومية لقدستها ويتحدثون العربية بلهجة سكان المنطقة المحلية ... وهي تعارض اليهود والصهيونية في احتلالهم للأرض العربية، وإعلانهم القدس كعاصمة لدولتهم، ومن هنا جاء قرار الإدارة الفلسطينية بتخصيص مقعد لها في مجلس الحكم الذاتي لها (12).

(2) الرفض الاندماجي للصهيونية:

ينطلق رفض اليهود الاندماجين للصهيونية من " افتراض فلسفي ديني يشبه من بعض الوجوه افتراض اليهود الأرثوذكس، وهو أن اليهودية هي أساساً انتماء ديني وليست قومي سياسي " (13)، " وهو الرفض الذي ينطلق من الإيمان بأن اليهود أقلية دينية، تعتنق الديانة اليهودية، وأنهم مواطنون عاديون يتجه ولاؤهم إلى الدول التي يعيشون فيها، وأن اليهود ليس لهم تاريخ يهودي مستقل، وإنما هم - كأقلية - يشاركون في تواريخ الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها. واليهودية الإصلاحية هي التعبير الديني عن هذا الاتجاه. ويتألف هذا التيار من أعضاء الطبقات المتوسطة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الذين لم يجدوا صعوبة اقتصادية أو حضارية في الاندماج في مجتمعاتهم. وقد تسبب إعلان دولة إسرائيل وصدقتها مع العالم الغربي الرأسمالي في تساقط الجمعيات التي تعبر عن هذا الاتجاه، فصهاينة الخارج، هم في نهاية الأمر يهود مندجون في مجتمعاتهم، يدينون بالولاء الفعلي لها، وإن كانوا يمارسون أحاسيس صهيونية (قومية) خارج حدود أوطانهم " (14).

" وتاريخ معارضة الاندماجين للصهيونية طويل ويعود إلى الأيام الأولى للحركة الصهيونية ولعل من أهم الشخصيات اليهودية المعادية للصهيونية السير ادوين مونتاجو،

(11) انظر: د. رشاد عبدالله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد(186)، 1994، (142-143).

(12) انظر: أحمد بهاء الدين شعبان: حاخامات وجزرالات، الدين والدولة في إسرائيل، مرجع سابق، (ص 118).

(13) هدى عبد السميع حجازي: مرجع سابق، (ص 151).

(14) د. عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، (ص 229).

وهو الوزير اليهودى الوحيد فى وزارة سير لويد جورج (التي أصدرت وعد بلفور). وقد عارض السير مونتاجو الفكرة الصهيونية معارضة قوية، وبين أن فلسطين قد يكون لها وضع خاص وأهمية خاصة بالنسبة لليهود، ولكنها لها وضع مماثل وأهمية مماثلة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين " (□).

(3) الرفض الاشتراكى للصهيونية:

ينظر اليهود الاشتراكيون إلى اليهود على أنهم طبقة كادحة مثلها مثل أية طبقة أخرى، وأن حل المسألة اليهودية يستلزم حلاً لكل المشكلات الاجتماعية لطبقات المجتمع تغير من مفهوم الوجود المستقل لليهود والوجود المستقل للمسألة اليهودية.

"ويشترك الرفض الاشتراكى للصهيونية مع أشكال الرفض اليهودية المختلفة فى كثير من المفاهيم. فعلى سبيل المثال يرى الاشتراكيون اليهود الرافضون للصهيونية أن اليهود لا يشكلون جماعة قومية مستقلة وإنما هم أقلية دينية وحسب، وأن حل المسألة اليهودية بالتالى لا يكون عن طريق الهجرة إلى (الوطن القومى) وإنما يكون عن طريق ثورة اجتماعية شاملة تغير البناء الطبقي للمجتمع، وتحل كل مشاكل الطبقات الكادحة والأقليات المضطهدة" (□).

(4) قومية الشتات (الدياسبورا):

يختلف دعاة قومية الشتات مع اليهود الاشتراكيين والاندماجيين والدينيين فى رفضهم للاندماج كحل للمسألة اليهودية، لأنهم يؤمنون بتفوق اليهود وتفردهم وهو ما يتفق مع الصهيونية. ولكن هناك ثمة اختلاف بين الحركة الصهيونية ودعاة قومية الشتات، الذين يؤمنون بأهمية الشتات فى حياة اليهود حيث إن اليهود يمثلون أقلية قومية وتلك الأقلية تكونت فى الشتات.

"ومن أهم دعاة قومية الشتات، المفكر اليهودى الأمريكى آى. ف. ستون... وقد ألقى ستون نظرة شاملة على منجزات الشتات، فوجد أن الفترات التى ازدهرت فيها حياة اليهود مرتبطة بحضارات ذات رؤية تعددية، سواء فى الفترة الهلينية (فى الإسكندرية)، أو فى الفترة التى سادت فيها الحضارة العربية فى الأندلس (وشمال أفريقيا)، أو فى العصر الحديث فى غرب أوروبا والولايات المتحدة. وهو يرى أن ازدهار حياة اليهود فى الشتات وإسهاماتهم الحضارية ظاهرة إيجابية جدية بالحفاظ عليها وتدعيمها" (□).

(□) هدى عبد السمیع حجازى: مرجع سابق، (ص 153).

(□) هدى عبد السمیع حجازى: مرجع سابق، (ص 155).

(□) د. عبد الوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، مرجع سابق، (ص 232).

وثمة تقابل بين دعاة قومية الدياسبوا والحزب العمالي اليهودى الاشتراكي (البوند) الذي تأسس في بولندا عام 1897 كاتحاد عام للعمال اليهود في روسيا وبولندا وليتوانيا. وقد عارض (البوند) أية عقيدة وطنية يهودية، وكان من المحاربين الأشداء في الشارع اليهودى ضد الصهيونية من منطلق أن حل القضية اليهودية في جميع أنحاء العالم سيأتى عن طريق انتصار الاشتراكية، ونظر (البوند) إلى دولة إسرائيل على أنها خطر شديد على الشعب اليهودى في العالم. وقد استوعبت إسرائيل عددا من أعضاء (البوند) الذين اعترفوا بالدولة ولكنهم رفضوا الاعتراف بالصهيونية كحل للقضية اليهودية في العالم ومازالوا يتمسكون باليديدش كلغة لهم.

ثانياً: تطور العلاقة بين الأدب العبرى والصهيونية:

ارتبط الأدب العبرى الحديث منذ ما قبل قيام دولة إسرائيل وحتى وقتنا هذا ارتباطاً وثيقاً وقويماً بالأحداث السياسية والاجتماعية التي مر بها اليهود عبر فترات عديدة. ولما كان الأدب، بصفة عامة، هو مرآة للمجتمع وهو المعبر الحقيقي عما يعتمل في النفس البشرية وما تمر به من أحاسيس مختلفة، فإن الأدب العبرى الحديث كان هو الآخر خير معبر عما مرت به جموع اليهود منذ فترة "الهسكالاه" ومروراً بفترة مايسمى "بالإحياء القومى اليهودى" (الصهيونية) ووصولاً إلى ما بعد قيام الدولة وحتى يومنا هذا.

وفي الوقت الذى كان فيه هذا الأدب معبراً عن تلك الأحداث التي مرت بها جموع اليهود في شتى بلدان أوروبا الغربية والشرقية فقد كان أحياناً شريكاً رئيساً أيضاً فى صنع تلك الأحداث، لاسيما أنه كان الجسر التي عبرت من خلاله حركة "الهسكالاه" ومن بعدها الصهيونية، للوصول إلى النفس اليهودية ومخاطبتها. ولاشك أنه قد تحققت من خلاله بعض الأهداف التي سعت إليها حركتنا "الهسكالاه" والصهيونية، فكان "أدباً دعائياً" و "أدباً مجنداً" فى أحيان كثيرة و "أدباً ناقداً و "أدباً رافضاً" فى أحيان أخرى.

"إن الصهيونية بمعنى (الحركة اليهودية باتجاه فلسطين) لم تولد فى مؤتمر بازل فى العشرين من أغسطس عام 1897، ولكن هذا المؤتمر كان نتيجاً علينا لسلسلة من الضغوط لعب فيها (الأدب الصهيونى) دوراً أساسياً. وإذا كان العقد الأخير من القرن التاسع عشر هو البداية الرسمية لولادة الصهيونية السياسية، فإن (الصهيونية الأدبية) كانت قد بدأت قبل ذلك وشكلت فى الحقيقة مادة (الصهيونية الفكرية) التي كتب عنها هس وبنسكرو وسوكولوف وأحاد هاعام وهرتسل وغيرهم" (١).

(●) البوند: كلمة عبرية تعنى (الرابطة).

(□) غسان كنفانى: فى الأدب الصهيونى، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1978، ط 2، (ص 35).

ولكى ندرك التطور الذى طرأ على علاقة هذا الأدب بالصهيونية كفكرة وكحركة، فعلينا أن ندقق النظر فى المراحل المختلفة التى مر بها هذا التطور للوقوف على أسباب ثبات هذه العلاقة وتغيرها، التى شكلت الحروب التى خاضتها إسرائيل منذ قيام الدولة، علامة فاصلة زمنياً بين مرحلة وأخرى من مراحل تطور علاقة هذا الأدب بالحركة الصهيونية، بحيث أصبح هناك ما يعرف بأدب حرب 1948، وأدب حرب 1967، وأدب حرب 1973 وانسحب هذا الأمر على ميادين أخرى كالتعليم والاقتصاد والمسرح والتطورات الاجتماعية الإسرائيلية الأخرى.

ومن الأهمية أيضاً أن نتعرف على الخريطة الأدبية فى إسرائيل قبل التطرق إلى مراحل التطور التى صاحبت الأدب العبرى الحديث والمعاصر بعلاقته بالصهيونية، حيث يقسمها الناقد الإسرائيلى جرشون شاكيد إلى ثلاثة أجيال:

الجيل الأول: ويمثله أدباء من مواليد العقد الأول والثانى من القرن العشرين، وينحدر هؤلاء الأدباء من آباء هاجروا إلى فلسطين ضمن موجتى الهجرة الأولى والثانية. وكانت التجارب الاجتماعية التى صاغت هذا الجيل هى ذكرى هجرة الآباء والحرب العالمية الثانية وحرب 1948. وهم أقرب ما يكون إلى الأيديولوجية الصهيونية. وينتمى إلى هذا الجيل على سبيل المثال (ساميخ يزهار، وأهارون ميجد، وموشيه شامير، وناتان شاحام، وحنوخ بارطوف، وبنيامين تموز، وغيرهم من الأدباء).

الجيل الثانى: ويمثله أدباء من مواليد الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. وهم الأدباء الذين ولدوا فى فلسطين، وهناك من يطلق عليهم (جيل البلد) أو جيل البالماح*. وقد أثرت فى هذا الجيل حرب 1967 وحرب 195، وينتمى إلى هذا الجيل على سبيل المثال (بنحاس ساديه، ودافيد شاحار، أ. ب. يهوشوع، وعاموس عوز، ويهوشوع كناز، وعماليا كاهانا كرمون، ويتسحاق أورباز، ويورام كانيوك، ويتسحاق بن نير، وغيرهم من الأدباء).

الجيل الثالث: ويمثله أدباء من مواليد الخمسينيات والستينيات. وكانت حرب أكتوبر 1973 من التجارب التكوينية لهذا الجيل، بالإضافة إلى حرب لبنان والانتفاضة الفلسطينية. ويتميز هذا الجيل بالتححرر من الأيديولوجيات والتركيز على الفرد. وينتمى إلى

(*) البالماح: هى اختصار الكلمة العبرية " بلوجوت ماحتس " (سرايا الصاعقة)، وقد تكون فى عام (1941) وارتبطت بحركة " الكيبوتس " وحزب " المابام ". وكان يتميز أفراد هذه القوة العسكرية اليهودية بالتمتع بقدر كبير من التثقيف السياسى الذى يركز على مبادئ الصهيونية العالمية. (انظر: د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص 97).

هذا الجيل من الأدباء (دافيد جروسمان، وميثر شاليف، وحانا بت شاحار، وأورلي كاستل بلوم، وغيرهم).

وعلى هذا الأساس يمكن الوقوف على تطور هذه العلاقة التي جمعت بين الأدب العبري الحديث/ المعاصر والصهيونية عبر هذه المراحل:

(1) مرحلة ما بعد "الهسكالاه" (الحركة القومية اليهودية):

سار الأدب العبري الحديث في خط متواز جنباً إلى جنب مع الأحداث التاريخية التي مر بها اليهود على مدار عقود عديدة منذ القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا. وإذا كان هذا الأدب قد حمل على عاتقه مهمة تنوير العقل اليهودي إبان عصر "الهسكالاه"، وقام بدور فاعل في هذا المجال حيث أسهم الأدباء العبريون في نقل الحضارة الأوربية واستلهاهما، وأضاءوا حارات اليهود في الجيتو بنشر العلوم المختلفة، فقد قاموا بدورهم أيضاً خلال فترة ما يسمى بـ "الإحياء القومي اليهودي" (الصهيونية)، لاسيما وقد تحول معظم أدباء "الهسكالاه" إلى القومية اليهودية، حيث ساقتهم نداءات "الأدب المجند" ونادوا بحياة قومية ذات سيادة، وذلك بعد الانتكاسة الكبرى لحركة التنوير اليهودية (الهسكالاه).

وقد لعبت الهسكالاه في شرق أوروبا في إذكاء روح التطلع إلى فلسطين عن طريق:

(أ) اتخاذ فريق كبير من الأدباء اليهود الروس من دعاة التنوير اليهودي اللغة العبرية كوسيلة من أجل الإحياء الثقافي اليهودي في روسيا.

(ب) تناول موضوعات في قصائدهم (حيث كان الشعر هو الغالب في كتابات هؤلاء الأدباء، باستثناء روايات أبراهام مابو) ترتبط بفلسطين وبالتاريخ اليهودي ومستقاة من المقرأ. ونذكر في هذا المجال أشعار ميخا ليفنسون (ميخال) ويهودا ليف جوردون، على وجه الخصوص ورواية "حبة صهيون" لمابو، التي كان لها أبعاد الأثر في إيقاظ روح الارتباط بفلسطين لدى قطاعات عريضة من اليهود قراء العبرية في ذلك الوقت. وعندما أعلن عن فشل حركة التنوير اليهودية في تحقيق أهدافها الرئيسية في الاندماج في الشعوب التي يعيشون بينها والتشبه أو التمثل بأبناء هذه الشعوب في الزى والسلوك والمهن المنتجة، في أعقاب حادثة اغتيال القيصر ألكسندر الأول في مارس 1881 واتهام اليهود باغتياله، وقيام موجة من الاضطهادات والمذابح ضد اليهود في روسيا، تحول معظم "المسكليم" (المتنورين اليهود) إلى الطرح الصهيوني وبدأوا يبشرون به بين اليهود، واستخدموا الأدب كوسيلة فعالة من أجل تحقيق الهدف الجديد، ومن هنا كانت الصهيونية الأدبية أسبق من الصهيونية السياسية التي قامت على يد تيودور زئيف هرتسل بعد ذلك في عام 1897 عام انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول.

ولم يكن معظم الأدباء العبريين فى منأى عن الجهود السياسية التى قام بها الزعماء الصهيونيون فى ذلك الوقت ؛ فقد أعجبتهم فكرة (الاتجاه نحو فلسطين) وفكرة القومية اليهودية الخالصة، وأخذوا على عاتقهم مهمة تعليق قلوب اليهود بأرض فلسطين، أرض الميعاد التى تدر لبنأ وعسلأ، فأحيوا ذكريات الماضى اليهودى، وتحدثوا باسم الدين اليهودى تارة، وباسم أرض الأجداد والتاريخ تارة أخرى .

وقد عبر ليلينبلوم عن ذلك فى مقاله (إحياء إسرائيل على أرض آبائه) بقوله: "علينا الكف عن الحياة كأغراب وعلينا العيش حياة قومية ذات سيادة ككل الشعوب. ويمكن أن تصبح الفكرة القومية، التى هى مصدر كل ضوائقنا، - بل ينبغى - أن تكون بمثابة منع الخلاص. وعلينا أن نحاول جاهدين العودة إلى كوننا قومية منظمة، وذلك بدلا من كوننا يتامى فى كل العالم" (□).

وهكذا، بدأت بوادر الاتجاه نحو إنشاء كيان يهودى مستقل، أخذت الحركة القومية اليهودية على عاتقها مسألة بلورته لتجنح فى النهاية نحو دفع جموع اليهود فى الشتات إلى فلسطين لإنشاء وطن قومى لهم هناك وإحياء ماضيهم ليقوم الأدب العبرى فى تلك الفترة بدور كبير وفاعل فى مخاطبة جموع اليهود فى شتى البلاد وتحويل أنظارهم صوب فلسطين. " وكان بيرتس سمولنسكن (1842 - 1885) هو أول من أسس هذه الحركة أديبأ ؛ حيث أوضح فى أواخر الستينيات وخلال السبعينيات من القرن التاسع عشر خطورة التطرف فى "الهسكالاه" (□) حيث كتب يقول: " من الحماقاة أن يعتقد اليهود فى أن " الهسكالاه" هى نور لهم وسوف يصبحون أكثر قوة من خلالها وأنها ستصبح مفخرة لهم" (□) " وفى خلال هذه الفترة بدأ الأدباء اليهود يؤمنون بالفكرة القومية ويروجون لها فى الأروقة اليهودية، وأخذت هذه الحركة تتبلور وتعرض أهدافها بوضوح، بعد أن أصدر موشيه هس (1812 - 1875) كتابه الشهير (روما وبيت المقدس) الذى دعا فيه إلى ضرورة تحول اليهود بكل كيانهم وجوانحهم نحو بيت المقدس لإحياء ماضيهم القديم على هذه الأرض" (□).

(□) (نقلأ عن د. سعيد عبد السلام: الفكر اليهودى والبحث عن الجذور، دراسة فى الأدب العبرى الحديث، مكتبة الأهرام، القاهرة 1999، (ص 51).

(□) انظر: د. أحمد حماد: الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، (ص 16، 17).

(□) شلومو أفنيرى: " هارعايون هاتسيونى لجفاناف" (الفكرة الصهيونية بأنواعها)، دار نشر عم عوفيد، تل أبيب، 1985، (ص 76).

(□) د. أحمد حماد: مرجع سابق، (ص 16، 17).

وفي حقيقة الأمر، لعب الأدب العبري الحديث في ذلك الوقت دوراً مهماً في نقل أفكار هذه الحركة التي حملها على أكتافه إلى حيز الوجود، حيث قام الأدباء العبريون بدورهم في تمهيد الطريق للأفكار الصهيونية فأثاروا حمية اليهود عن طريق كتاباتهم وأججوا الشعور الديني والتاريخي لليهود تجاه فلسطين. ويمكن القول، إنه لولا جهود هؤلاء الأدباء، وخصوصاً الشعراء، لما نجحت الصهيونية في تحقيق هدفها الأسمى، وهو قيام كيان يهودي مستقل في فلسطين، حيث هزت كتاباتهم بعنف أركان التجمعات اليهودية في شتى البلاد التي كانوا يعيشون بها، وداعبت أحاسيسهم الدينية وأحيت ذكرى الآباء الأولين ومهدت الأرض لكي تنثر فيها بذور الدعوة إلى الصهيونية والاتجاه نحو فلسطين. وقد تحقق هذا بإكثار الأدباء القوميين من الكتابة حول " معرفة الطبيعة في فلسطين، ومعرفة طبيعة البلاد، وإدراك الذكرى التاريخية الأثرية التي تكمن في هذه البلاد. وكذلك معرفة اللغة العبرية كلغة قومية، لغة الوطن الأبدى، ومن خلال معرفة المقررات كتعبير حاضر للذكرى التاريخية، الذي يربط الشعب بالحاضر تجاه البلاد الحقيقية، والإعلان المستقل للاستيطان في فلسطين عن طريق فلاحه الأرض وبناء مجتمع جديد والدفاع عنه، وكذلك مجموعة الطقوس الدينية التي شكلت الهوية المستقلة للصهيوني الذي يحقق فريضة الاحتفال بمواسم الطبيعة وجمع محاصيل الأرض" (1).

وهكذا هرع الأدباء العبريون في تلك الفترة، الذين آمنوا بفكرة ما يسمى بالقومية اليهودية، إلى تجنيد أقدامهم لخدمة هذه الحركة فتغنوا في كتاباتهم بأرض فلسطين. " وفي هذه المرحلة - مرحلة القومية - التي تبدأ من سنة 1881 وتستمر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أسست دولة إسرائيل سنة 1948، صارت الغلبة لدعاة القومية فأثاروا الحنين إلى الوطن الموعود، وتشجيع الهجرة إليه، والتأكيد على (الوحدة القومية لليهود) أينما كانوا، ومحاربة التيارات غير المماثلة للقومية أو المناوئة لها مثل التيار الديني المحافظ، وتيار الاندماج وتيار الاشتراكية العالمية. لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع، هي مرحلة تكثيف الجهود على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للسيطرة بشكل عملي على فلسطين، وفي مقدمة تلك الجهود تقوية اليسوف (الاستيطان اليهودي) في فلسطين" (2).

وهكذا، انطلق الأدب العبري الحديث نحو تحقيق الهدف ليعج بالنصوص التي تربط شتات اليهود بأرض فلسطين، ويقول كلاوزنر في هذا الصدد: " إن الأدب العبري الحديث نفسه عاد آنذاك للازدهار من جديد في (أرضه التاريخية) التي ولد فيها قبل آلاف

(1) أليعازر شفايد: " زهوت يهوديت تسيونيت " (الهوية اليهودية الصهيونية)، مجلة " موزنايم "، 6 أبريل 1997، إسرائيل، (ص 16).

(2) انظر د. زين العابدين محمود: الأدب العبري الحديث، السمات والخواطر، القاهرة، 1997، (ص 86).

السنين. فالأدب العبري الحديث ما هو إلا الحلقة الأخيرة في السلسلة الأدبية للثلاثة آلاف سنة الأخيرة " (□).

وقد حمل هذا الأدب أو أدب جيل الإحياء كما يطلقون عليه كل من " يهودا ليف جوردون وأبراهام مابو، وبيرتس سمولنسكين، ومندلى موخير سفاريم، وحايم نحمان بياليك، وشاؤول تشرنخوفسكى، وآحاد هاعام، وميخا يوسف يرديشفسكى، ويوسف حايم برينر، وجنسين، وحايم هزاز، وأدب الهجرة الثالثة، خصوصاً أبراهام شلونسكى، وناتان ألترمان، وليئة جولدبرج وعجنون. وفي كتاباتهم دعوا إلى (رفض الشتات) والاتجاه نحو فلسطين أرض الأجداد " (□).

" وإذا كان سمولنسكين قد أدرك أن فكرة الهجرة إلى فلسطين هي فكرة مخوفة بالمخاطر ضد معظم اليهود، دون هؤلاء الذين يتطلعون للدفن فيها فإنه أدرك أيضاً فى السنوات الأخيرة أنه من الممكن إقامة مستوطنات هناك، وبهذا الأسلوب يمكن مغازلة اليهود بأن الأرض مستعدة لاستقبال سكان كثيرين تستطيع أن تستوعبهم " (□).

وعلى سبيل المثال، تغنى بياليك شاعر القومية اليهودية أو أمير الشعراء العبريين - كما يطلقون عليه - بأرض فلسطين (□) وبرز أقوى تعبير عن قومته اليهودية من خلال قصيدته (إلى العصفور)، حيث جعل بياليك العصفور فى تلك القصيدة رسولاً يحكى له عن أرض أحلامه. وفى هذه القصيدة يحسد العصفور على قدرته على التنقل والحركة بحرية والذهاب إلى الأراضى المقدسة ويطلب منه أن يحكى له عن أجداد الأرض المقدسة التى يشتاق إليها، تلك الأرض التى يزدهر فيها الربيع الأبدى.

أما أبراهام مابو فقد كانت " رواياته مليئة بالحنين للعودة إلى فلسطين، وربما كان هذا هو السبب الذى جعل بعض نقاد الأدب العبري الحديث يقولون عنه إنه كان صهيونياً قبل أن تظهر الصهيونية، وأن رواياته كانت تعبر عن أولى إرهابات الإحياء والبعث القومي فى الأدب العبري الحديث " (□). وكانت أشهر الروايات التى كتبها ووصف فيها أرض فلسطين كجنة عدن هى رواية (حبة صهيون) 1853.

(□) يوسف كلاوزنر: الموجز فى تاريخ الأدب العبري الحديث 1781-1939، تعريب: اسحق شמוש، عكا، 1986، (ص 156)

(□) أليعازر شفايد: " زهوت يهوديت تسيونيت " (السهوية اليهودية الصهيونية)، مرجع سابق، (ص 18).

(□) شلومو أفنيرى: " هارعايون هاتسيونى لجاناف " (الفكرة الصهيونية بأنواعها)، (ص 76).

(□) أنظر: دائرة المعارف العبرية، دار نشر حفراه، القدس، (ص 688: 689).

(□) د. أحمد حماد: مرجع سابق، (ص 138).

كما يبرز حايم هزاز أهمية أن يصبح اليهودى صهيونياً ويؤمن بمبادئ الصهيونية ومفاهيمها التي تدعو إلى الاستيطان فى فلسطين فى قصته (الموعظة) فهو يقول على لسان بطل القصة يودقه: " ... إن الصهيونية واليهودية ليستا شيئاً واحداً، بل هما شيئان يختلف كل منهما عن الآخر، وربما أيضاً هما شيئان يكمن كل منهما فى الآخر. وعلى أية حال إنهما ليسا على حد سواء. فالإنسان الذى لم يستطع أن يكون يهودياً فإنه يصبح صهيونياً " (□).

وفى روايته (يا عيش) " يشير هزاز إلى أهمية القدس فى الوجدان اليهودى وأنه يأتى إليها اليهود من جميع أرجاء العالم لإقامة شعيرة استيطان (أرض إسرائيل) فهم يبنون بيوتا ويزرعون كروماً ويتدفق عليهم المال من الأثرياء مجاناً من كل مكان من روسيا وبولندا وأمريكا وذلك لكى يقيموا فقط فريضة استيطان أرض فلسطين " (□).

ويعطى لنا زئيف يعابيتس فى قصته (عيد الشجرة) 1892 نموذجاً لليهودى الجديد القوى على أرض فلسطين. " ففى هذه القصة يصف الحياة فى قرية (يهود) التى تقع بالقرب من (بيتح تكفاه) فى ذلك الوقت. ويعابيتس الذى كان دينياً وواحداً من الأدباء العبريين الأوائل الذين وصفوا الحياة الجديدة فى المستوطنات الأولى فى فلسطين، يقدم لنا شخصية الصبى اليهودى الذى يعيش فى فلسطين (نحمان يزرائيلي) كنموذج لشخصية صبى إسرائيلى جديد قوى ونشيط، وهو يقابل بذلك شخصية اليهودى الجيتوى (الشتاتى) " (□).

وعمد بعض الأدباء إلى إبراز بعض رموز التاريخ اليهودى القديم فى فلسطين فى أعمالهم الأدبية، وذلك فى إشارة منهم إلى أن اليهود سكنوا تلك البقعة من الأرض منذ العصر التوراتى، كما فعل مندلى موخير سفاريم فى قصته (رحلات بنيامين الثالث) التى تحدث فيها عن نهر الأردن ومغارة المكفيلة وقبر راحيل وحائط المبكى (□).

كما ربط شموئيل يوسف عجنون بين فلسطين وتاريخ اليهود، ففى روايته (أمس البعيد) التى تعد أكبر رواياته؛ إذ تقع فى ستمائة صفحة، يصف المصاعب الحياتية للتأقلم فى فلسطين فى بداية القرن العشرين. ومع هذا فهو يدعو كل اليهود للفوز بالسكن فى (أرض إسرائيل) التى هى مصدر أساسى لليهود.

(□) إيهود بن عيزر: " إين شأنانيم بتسيون، سيحوت عل محير هاتسيونوت " (أحاديث حول مردود الصهيونية)، دار نشر عم عوفيد، تل أبيب، 1986، (ص 16).

(□) انظر: د. سعيد عبد السلام: الفكر اليهودى والبحث عن الجذور، مرجع سابق، (ص 24، 25).

(□) إيهود بن عيزر: " إين شأنانيم بتسيون، سيحوت عل محير هاتسيونوت " (أحاديث حول مردود الصهيونية)، مرجع سابق، (ص 16، 17).

(□) انظر: د. سعيد عبد السلام: الفكر اليهودى والبحث عن الجذور، مرجع سابق، (ص 17، 18).

وفي هذه الرواية يدعو عجنون زعماء الصهيونية للتحرك نحو القيام بنشاط عملي حقيقي في حقل الاستيطان اليهودي في فلسطين، " حيث تنتقد الرواية الزعماء الصهيونيين غير العاملين الذين لا هم لهم سوى إلقاء الخطب الرنانة دون القيام بأى نشاط فعلى من أجل تجسيد فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين ... إن النظرة النقدية إلى هؤلاء الزعماء ليست مطلقة في الرواية، بل هي مرهونة تقدر بقدر ما يقدمه هؤلاء الزعماء للصهيونية، ومؤسساتهم من إسهامات من أجل تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين والاستيطان بمضمونه اليهودي الصهيوني، فكلمة تراخوا عن هذين الهدفين زادت وتيرة الانتقادات" (□).

وهكذا حمل الأدب العبري الحديث الفكرة الصهيونية على أكتافه وعبر بها إلى حيز الوجود ليحققاً معاً حلمهما في إنشاء كيان يهودي مستقل، حتى نجحاً، في النهاية، في إقامة دولة إسرائيل كدولة يتجمع فيها يهود الشتات، ولعب الأدب العبري الحديث دوراً فاعلاً في إرساء دعائم هذا الكيان اليهودي، الذي لولاه لتغير وجه التاريخ اليهودي في العصر الحديث على الإطلاق، حيث يشير أهارون بن أور إلى أهمية هذه العلاقة التي جمعت بين هذا الأدب والفكرة الصهيونية بقوله: " كان الأدب العبري هو المصنع الذي أنتج الصهيونية بمفهومها الكامل، ومن خلاله تم صياغة المثل الصهيونية ... ولكن الصهيونية هي التي خلقت الظروف التي أحيت هذا الأدب وطورته بإبرازها لأهمية وجود أدب عبري يشبع الحاجات الروحانية لليهود، وإن كانت المبادئ الصهيونية قد تجسدت في أى عمل أدبي كتب خلال تلك الفترة فإن هذا الأمر كان ميزة وليس عيباً" (□).

وفي حقيقة الأمر، فإن العلاقة التي جمعت بين الأدب العبري الحديث والصهيونية كانت علاقة تكامل، حيث كان كل منهما يكمل الآخر، فالظروف التي خلقتها الصهيونية لهذا الأدب والتي تحدث عنها بن أور وأدت في النهاية إلى قيام دولة إسرائيل، لم تكن بالطبع إلا الظروف السياسية والاجتماعية التي خلقها رواد الحركة الصهيونية الذين استغلوا الأحداث السياسية التي مر بها اليهود لصالحهم ليكون للقدر اليهودي دوره في الدوافع والأهداف السياسية والقومية والتاريخية التي تم استغلالها والتأكيد عليها بصفة خاصة بعد اضطرابات روسيا عام 1881 وأحداث النازي وقضية دريفوس* وهو ما يعلق عليه بن عيزر قائلاً:

(□) د. عبد الوهاب وهب الله: الاستيطان اليهودي في الأدب الصهيوني، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ط2، (ص 153: 155).

(□) أهارون بن أور: " تولدوت هاسفروت هاعفريت هاحداشاه " (تاريخ الأدب العبري الحديث)، دار نشر يزرعئيل، تل أبيب، (ص 6، 7).

(●) أحداث النازي: يطلق على هذه الأحداث في الفكر الصهيوني " هاشوأه " (النكبة)، والتي أباد فيها النازيون بزعمامة هتلر عدد من اليهود وغيرهم من الطوائف الأخرى في أفران الغاز. وحول هذه

" إن الصهيونية ودولة إسرائيل استخدمتا القدر اليهودي وأحداث النازي كحجة حاسمة لتبرير حقيقة قيامهما أمام العالم وأمام أنفسهما، ونظرا إلى أنفسهما كجزء من (تاريخنا الذي صنعناه بأنفسنا، وبأيدينا وبقوتنا) أي على العكس تماماً من الشتات واليهودية. وقد تم إدراك هذا التاريخ الفعلي لإقامة الدولة بمفاهيم علمانية تماماً... وقد كتب الناقد الإسرائيلي كورتسفييل في إحدى مقالاته أن (تلك هي نتيجة الطبيعة التي حلمت بها الصهيونية. ولم يكن هذا ذنب الجيل المعاصر إذا كانت الصهيونية قد اندهشت من تحقيق حلمها " (1) بقيام دولة لليهود.

أما بالنسبة لفلسطين أو (أرض إسرائيل) التي تغنى بها الأدباء العبريون آنذاك ونجحوا في تحويل أنظار الشتات اليهود إليها بإبراز الادعاءات الصهيونية القائلة بأن اليهود ظلوا يتطلعون إليها على مر العصور فيقول أ. ب. يهوشوع: " لقد بدأت الصهيونية تدلى بدلوها مع نهاية القرن التاسع عشر، في هذا الموضوع. ولم يكن هذا اشتياقاً جديداً لفلسطين أو كراهية فجائية للشتات... فعلى الرغم من أن أبواب فلسطين فتحت على مصراعيها بعد وعد بلفور وقدمت دولة عظمى مثل بريطانيا الدعم لإمكانية إقامة دولة يهودية في فلسطين، فما زال الشعب اليهودي لم يأت بعد إلى فلسطين. ولا تستطيع أية فطنة أو شروح مغالطة أن تنفي هذه الحقيقة المطلقة " (2).

وهو أمر يؤكد عليه شلومو أفينيري بقوله: " إن كل من يعن النظر في تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة وتطورها على طول التاريخ ونزعة اليهود تجاه فلسطين، يستطيع أن يدرك هذه الظاهرة التي تبدو منذ النظرة الأولى كتناقض يستلزم التدقيق والتأمل " (3).

(2) مرحلة ما بعد قيام الدولة (1948):

اختلف موقف الأدب العبري الإسرائيلي من الصهيونية بعد حرب 1948 وقيام الدولة. " فإذا كانت السمة الغالبة للأدب العبري قبل حرب 1948 هي سمة الأدب

الأحداث يدور سجلاً واسعاً بين النقاد والمفكرين بشأن عدد هؤلاء اليهود الذين أيدوا، والأسباب التي أدت إلى هذه الأحداث.

(●●) قضية دريفوس: دريفوس هو ضابط يهودي فرنسي، تم اتهامه من قبل السلطات الفرنسية ببيع أسرار عسكرية فرنسية إلى ألمانيا، وتمت محاكمته في عام 1894 وفي عام 1899، وحكم عليه بالسجن المؤبد ونفيه إلى جزيرة العفاريت. (انظر: أفرايم ومناحم تلمى، معجم المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص 303)

(□) إيهود بن عزيز: " إين شانانيم بتسيون، سيحوت عل محير هاتسيونوت " (أحاديث حول مردود الصهيونية)، مرجع سابق، (19).

(□) أفراهم بيت يهوشوع: " بزخوت هانورمالايوت، حاميش ماسوت بشئيلوت هاتسيونوت " (بفضل الطبيعة، خمس مقالات حول قضايا الصهيونية، دار نشر شوكن، القدس وتل أبيب، 1984، (ص 37، 38).

(□) شلومو أفينيري: " شئيلوت حفراه اومدينوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص 11).

الفكري المجند، وهو الأدب الذي عبر عن جيل فترة (الهجرتين الثانية و الثالثة)، وجيل " البالمح " (نسبة إلى إلى وحدة عسكرية كان يطلق عليها اسم سرايا الصاعقة، اشترك في عملياتها العسكرية عدد صغير نسبياً من أدياء هذه الفترة) عن طريق الالتزام بالبعد عن إبراز أي نوع من التناقض بين الأيدولوجية الصهيونية، وبين تجربة الفرد في واقع الحياة، كما تميز كذلك بالسعي نحو خلق المبررات لكل القضايا التي واجهت الصهيونية سواء كان ذلك تبرير رفض الاندماج اليهودي في مجتمعات الشتات اليهودي بالتركيز على موجات العداة وكراهية اليهود، أو تبرير محاربة الانتداب البريطاني واغتصاب فلسطين من العرب " (1) فإن الموقف الأدبي من الصهيونية قد اختلف تماماً بعد هذه الحرب " فبعد أن حطت حرب 1948 أوزارها ونجحت التنظيمات والمؤسسات الصهيونية في توظيف الإمكانيات الذاتية والخارجية المتاحة لها في إقامة الدولة، وراودت الإسرائيليين آمال العيش في أمان، وظنوا أن الجانب العربي قد ركن إلى ضعف وانهيار، وأنه قد أسلم للأمر الواقع وداعت خيالهم تفاعلية مفرطة في تثبيت أركان الدولة الوليدة من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتأكيد على المثل الصهيونية التي طالما روجوا لها " (2) لتشجيع الهجرات إلى فلسطين جنة عدن " فوجئ الجميع بما يثير الدهشة والتعجب، في أن التفاخر بالنصر لم يكن هو الموضوع الذي استخدم كإطار للإنتاج الأدبي شعراً ونثراً بعد حرب 1948. لقد كان الموضوع الرئيسي تقريباً فيما عدا استثناءات الأدب الدعائي أو المجند هو تخطبات المحارب الصهيوني ومعاناته لأنه قد وضع بواسطة المخططات الصهيونية أمام اختيار صعب، إما أن يتراجع عن فكرته ويعود من حيث أتى، وإما أن يواصل ويخوض حرباً دموية إنساناً ضد إنسان وشعباً ضد شعب ... لذلك فقد أصبح العالم الداخلي والفردى والحساس لدى الجندي الإسرائيلي بكل صراعاته هو الموضوع الرئيسي لأدب حرب 1948م " (3).

ويعلق الناقد الإسرائيلي يوسف أورن على هذه الحالة بقوله: " لقد أتت المجموعة الأولى من الأدياء، (أدياء جيل الدولة)، بحساب مع الأيدولوجية الصهيونية بعد حرب 1948، ففي أثناء تعلمهم (في البيت، وفي حركة الشباب، وفي المدرسة) أدركوا من خلال الصهيونية أن الدولة سوف تقوم بطرق المصالحة المختلفة، وقد خاب أملهم وتحقق قيام الدولة بالحرب، وكانوا هم ضحاياها. وقاموا فيها بأعمال ظالمة. وقد استخدم هذا التناقض بين الوعد وما يتم تحقيقه كشهادة على ضعف الصهيونية. وهكذا، حدث أن حرب 1948 التي تشير في التاريخ إلى البرهان الذي يحاول الإقناع على نجاح الصهيونية،

(1) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب 1967، مرجع سابق، (ص 2)

(2) د. زين العابدين محمود: الأدب العبري الحديث، السمات والخواطر، مرجع سابق، (ص 193).

(3) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب 1967، مرجع سابق،

يعرض في الأدب الذي يصف هذه الحرب كفشل أخلاقي لا مثيل له. لقد تحولت الصهيونية على يد أدباء 1948 إلى اسم مضطهد وإلى شريعة معادية تستمد قوتها من الكلام والبلاغة فقط، شريعة لم تتوافق أفكارها مع أفعالها. وهو الأمر الذي جعل أدباء (جيل البلد) يضع الصهيونية بين الأقواس للسخرية من عدم صمودها أمام أول اختبار لبلوغ الهدف وكانتم للإحباط الذي تسببت فيه وأصاب جنود حرب 1948 " (1).

ويمكن القول، إن حرب 1948 تعد بمثابة نقطة تحول كبيرة على المستوى الشخصي والإنساني بالنسبة لبعض الأدباء الإسرائيليين بعد قيام الدولة. فإذا كانت المرحلة الأدبية لدى بعض الأدباء قبل قيام الدولة قد تميزت بإظهار الانبهار بسحر الشرق وطبيعة العلاقة التي تربط بين اليهود والعرب الفلسطينيين في فلسطين، فإن هذه الحرب قد جعلت هؤلاء الأدباء الإسرائيليين في موقف حائر، حيث وجد هؤلاء أنفسهم متأرجحين ما بين المثل العليا والأخلاق الإنسانية وبين الواجب العسكري الذي يلزمهم بالقيام بأعمال القتل والطرده وسفك الدماء ضد المواطن العربي الذي عاش معهم جنباً إلى جنب قبل قيام الدولة وبدء العمليات العسكرية.

ويضيف يوسف أورن معلقاً على موقف الأدباء الإسرائيليين من الصهيونية بعد هذه الحرب بقوله: " إن المؤلفات الأدبية التي كتبها (جيل في البلاد) حول حرب 1948 لم تلق الضوء على الواقع التاريخي لهذه الحرب، بل إنها تطرقت إلى الاضطراب النفسي الذي واجههم خلالها، بعد أن تحولت إلى حرب احتلال بعد أن كانت حرباً دفاعية، وذلك لتثبيت حدود الدولة. وقد عبرت كتاباتهم عن الفارق ما بين التعليم الصهيوني الذي تشربوه في البيت، وفي المدرسة وفي حركة الشبيبة، وهو التعليم الذي تغلغل بهم في الرؤية المشتركة لكل رؤى الصهيونية وتعاليمها، التي تقول إن دولة اليهود سوف تقوم بطرق المصالحة المختلفة، وبين ما حدث لهم بالفعل في حرب 1948 وهو ضرورة القتال في ساحات المعركة لكي تتحقق السيادة. وهنا ينبع فشل الصهيونية المتوقع في الاختبار الفعلي الأول لها " (2).

لقد كشفت هذه الحرب عن الوجه الحقيقي للصهيونية التي أولت اهتماماً كبيراً للأهداف الجماعية دون الاهتمام بالفرد ذاته، وفي أول موقعة حقيقية لها تحولت حرب 1948 إلى فح نفسي وإلى عقدة نفسية عميقة عبر عنها هؤلاء الأدباء الإسرائيليون والذين

(1) يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلي " (الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، دار نشر ياخذ، إسرائيل، 1990، (ص14).

(2) يوسف أورن: " رومان تسيوني رحمانا ليتسلان " (رواية صهيونية، حاشا لله)، مجلة موزنايم، أكتوبر 1999، (ص43).

اشترك بعضهم في هذه الحرب، وأصبح الأدب الإسرائيلي وقتها هو ساحة القتال الرئيسية تبارى كل منهم في إبراز الهوية النفسية العميقة التي أحدثتها لهم الصهيونية وأجبرتهم فيها على الإمساك بالسيف في معركة الوجود بعد أن " أعلنت الصهيونية بعد عام 1948 عن هدفها غير الأخلاقي في صراحة تامة وحددت هدفها في تفرغ فلسطين بالكامل من سكانها الفلسطينيين عن طريق طرد السكان بالقوة ونزع الملكيات وهدم المنازل وترويع المواطنين ودفعهم إلى ترك أرضهم، وبهذا فالصهيونية سرقت وطناً بكامله وبقوة السلاح وقتلت وشردت النساء والأطفال، وهددت الحياة الآمنة لليهود في كل بلاد العالم " (1).

ومن هنا كانت لتلك الأحداث أثرها الكبير على الفرد الإسرائيلي الذي كان مجبراً ومضطراً لتنفيذ كل هذه الأعمال، حتى وإن كان يرفض كل هذا. وفي مرحلة الإفاقة، عندما أدرك هول ما فعله، كان هناك حساب عسير مع النفس، انعكس على الأدب الذي يعكس بدوره تجارب المجتمع، حيث " لم تكن حرب 1948 مجرد موضوع مناسب للوصف والقص فحسب، بل كانت حدثاً غير إلى حد غير قليل من ملامح الشخصية المبدعة في الأدب الإسرائيلي، وعلى هذا الأساس، تتحدد أهمية حرب 1948 في التأثير على الموضوعات التي تناولها الأدب العبري اعتباراً من الخمسينيات، وعلى الجيل الإسرائيلي الذي شكلت الحرب بالنسبة له المحك الأول، الشخصي والعام، لاختيار القيم والمثاليات التي غذته بها الحركة الصهيونية " (2).

" هذا ولم يكن أمام أدباء 1948 إلا التعبير عن إحباطهم من الصهيونية في كتاباتهم، وذلك بسبب التناقض بين الآمال التي وعدت بها والواقع الذي تكشف لهم في 1948، وما تبعه من عدم إمكانية تحقيق السيادة، وترتب على ذلك استحالة الدفاع دون استخدام القوة " (3).

وقد كان الأديب الإسرائيلي ساميخ يزهار من أشهر الأدباء الإسرائيليين الذين عبروا عن تحبظات المحارب الصهيوني ومعاناته في هذه الحرب، لاسيما أنه كان واحداً من الذين خاضوا غمار حرب (1948) وشارك في عدد من العمليات الإرهابية الصهيونية التي كانت تستهدف طرد الفلسطينيين من قراهم في إطار مخطط الصهيونية للسيطرة على مزيد من الأراضي العربية وضمها إلى الدولة.

(1) د. محمد خليفة حسن: الوضع الأخلاقي للصهيونية، مجلة إبداع، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، العدد 6، 1998 (ص 63).

(2) د. رشاد عبد الله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، دراسة في أدب حرب 1948 عند ساميخ يزهار، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1988، (ص 20).

(3) يوسف أورن: "رومان تسيوني رحمانا ليتسلان" (رواية صهيونية، حاشا لله)، مرجع سابق، (ص 45).

وكانت قصة (الأسير) من أصدق القصص التي عبرت عن هذه الورطة الأخلاقية التي وقع فيها بطل يزهار المعذب، حيث تصف هذه القصة إحدى العمليات العسكرية التي يقوم بها بعض الجنود الإسرائيليين في قرية عربية، وذلك في الفترة الأخيرة من حرب (1948). وفي غمرة الخواء النفسي الذي عاش فيه الجنود الإسرائيليون، وفي محاولة لقتل الملل الذي أحاط بهم في هذه المهمة العسكرية التي لم يعرفوا متى ستنتهي، ينتهي الأمر بالقبض على راع عربي والتحقيق معه بتهمة التجسس، وهي فرصة لتبديد ذلك الجو الهادئ والممل.

ويتم وصف عملية صيد الأسير العربي البريء وكأنها عملية عسكرية عظيمة تتم ضد إحدى كتائب العدو، وليس ضد إنسان أعزل وبريء، وهو ما يعكس سخرية القاص من هذا العمل الشرير⁽¹⁾. وبعد التحقيق معه في مقر العملية العسكرية وركله ولكمه وضربه عدة مرات بصورة وحشية وحيوانية، يتم نقله إلى مقر القيادة العامة للتحقيق معه، وذلك بصحبة أحد الجنود الإسرائيليين. وهنا يقع ذلك الجندي الذي يقوم بدور القاص في تخطيط ومعاونة ويتأرجح ما بين كونه إنساناً يرى في ذلك الراعي البريء إنساناً يعول زوجته وأبنائه، ولذا يجب الإفراج عنه وتركه إلى حال سبيله، وبين كونه جندياً يعبر عن " النحن " وليس عن " الأنا " ، ويظل طوال الطريق في التفكير ما بين تركه للأسير وبين الاحتفاظ به. وتنتهي القصة دون توصل ذلك الجندي إلى حل يرضى ضميره، ويبقى مزمقاً نفسياً لا يستطيع أن يفعل شيئاً في النهاية.

ويرى بن عيزر، أن هذه القصة هي خير معبر عن العجز الأخلاقي والتخبط والانكسار، حيث يقول: " إن قصة (الأسير) التي صدرت لأول مرة عام (1948) تعد من أشهر قصص التخبط الأخلاقي، حيث وصفت بشدة تخبطات القاص الذي تعلم كيف يحترم حياة الإنسان والنفس والحرية والاستقلال، ولكنه عجز عن فعل شيء تجاه ما يقع أمامه، حيث ساروا لقتل راع عربي مسن وقع في الأسر... كما أن دائرة القاص لم تتقاطع أبداً مع مصير الأسير، ولم تكن هناك علاقة شخصية بينهما. فالفرد العربي قائم فقط كمعضلة أخلاقية تقف أمام الجندي الإسرائيلي. ولكن القاص لم يكن مهيباً لاتخاذ أي موقف إيجابي تجاه مقتل الأسير أو تجاه طرده وإبعاده عن أسرته... وجاءت نهاية القصة نهاية مفتوحة، وموت الأسير غير موصوف بها، ولكن من المعقول أن قد حدث"⁽²⁾.

(□) د. رشاد عبدالله الشامي: " الأسير العربي " والعجز الإسرائيلي عن الحسم الأخلاقي في قصة (الأسير) لساموخ يزهار، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الثاني، يوليو 1984، (ص13).

(□) إيهود بن عيزر: " بموليدت هاجعجو عيم هامونجاديم، هاعرفي باسقروت هاعفريت " (في وطن الأشواق المتناقضة، العربي في الأدب العبري"، دار نشر زمورا بيتان، تل أبيب، 1992، (ص28).

كما يقول الناقد الإسرائيلي " م. دوشاني " عن قصة (الأسير): " ربما كانت من أحسن قصص يزهار التي استنكر فيها بواسطة القصة الفنية العيوب النفسية والأخلاقية التي يقع فيها كل منتصر ومحتل ، والتي ظهرت في الحرب . ويرى " أ.ب . يافه " أن يزهار يصف في هذه القصة ، وبصورة حرة للغاية ، التفسخ الأخلاقي الذي يحدث للجنود في الخنادق ، والحالة النفسية التي قد تحدث لهم بسبب حياتهم⁽¹⁾.

كما أن قصة (خربة خزاعة) لـ " ساميخ يزهار " تعد أيضاً من القصص التي عبرت عن ذلك التخبط وتلك المعاناة للمحارب الإسرائيلي . وتدور قصة (خربة خزاعة) حول صدور أمر لفصيلة من فصائل الجنود الإسرائيليين بالاستيلاء على قرية عربية تدعى " خربة خزاعة " وذلك بعد طرد سكانها العرب . وكان " يزهار " نفسه واحداً من الجنود الذين ضمتهم هذه الفصيلة حيث قام بالاشتراك في هذه العملية . وكانت مهمة هذه الفصيلة تتلخص في جمع سكان هذه القرية ، وشحنهم في العربات ، ونقلهم خلف الخطوط اليهودية ، ونسف المنازل وحرق البيوت ، والقبض على الشباب المشبوهين .

وتبدأ عملية تنفيذ الأمر القتالي بقسوة ، فتنسف المنازل ، ويتم جمع السكان وشحنهم في السيارات . ويشترك البطل القاص في تنفيذ المهمة بقلب محطم ونفس ممزقة ، دون أن يجرؤ على الاحتجاج لوقف الجريمة التي تتم على مشهد منه بأسلوب لا إنساني ، بالرغم من احتجاجه الداخلي على مشاهد الإرهاب وسماعه لنجيب النساء وصراخ الأطفال⁽²⁾ . ويبدى " يزهار " في قصته هذه اعتراضه على طرد العرب وتهجيرهم . إنه يكره التهجير ، وأحشاؤه تتمزق وهو يرى موكب المهجرين . ولكنه يتخاذل كما تحاذل في قصة (الأسير) فلا يقدم على عمل يمنع ذلك⁽³⁾ .

ويقول " عاموس عوز " عن هذه القصة معبراً عن هذا الوضع :

" إن موضوع هذه القصة ليس هو الصراع الإسرائيلي العربي ، ولكنه بكل خجل الصراع الإسرائيلي الإسرائيلي . وبدقة أكثر : الصراع بين أحد شبابنا المقاتلين وبين نفسه الممزقة"⁽⁴⁾

(1) د. رشاد عبدالله الشامي : " الأسير العربي " والعجز الإسرائيلي عن الحسم الأخلاقي ، مرجع سابق ، (ص30) .

(2) د. رشاد عبدالله الشامي : الفلسطينيين والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (ص103) .

(3) غانم مزعل : الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث (1948-1985) ، دار الجليل للنشر ، عمان ، 1986 ، (ص63) .

(4) عاموس عوز : " بأور هاتيخيليت هاعازاه " (في الضوء الأزرق الساطع) ، دار نشر كبير ، إسرائيل ، 1990 (ص157) .

وهكذا أوقعت الصهيونية بعض هؤلاء اليهود الذين خاضوا غمار هذه الحرب في معاناة نفسية عميقة، وصفها يزهار في هذه القصة على لسان القاص بالورطة:

(ما لنا وكل هذه الورطة) اندفعت هذه الكلمات من فمي بلهجة احتجاجية) (١).

وتعد رواية (أيام تسيكلاج) 1958 أهم إنتاجات يزهار في تنفيذ حرب 1948 في الأدب القصصي الإسرائيلي وأوسعها، حيث نجد فيها كلمات الإحباط والفشل على لسان أبطالها وسخرية من نظريات الصهيونية. لقد عرضت فيها الأفكار الصهيونية كأقوال تهتم بالأوهام وكأقوال تؤكد على (ما هو غير قائم) وهو ما يعبر عنه كلام دنوس أحد أبطال الرواية بقوله: (لا تفقد الأمل عندما لا تجد ما ليس موجوداً).

وبعيداً عن دائرة الحرب التي تسببت في التمزق النفسي للشخصية الإسرائيلية، عبر أهارون ميجد - من زاوية أخرى - عن صراع شخصية الصبار مع الصهيونية، تلك الشخصية التي كانت هدفاً من الأهداف التي سعى إلى تحقيقها رواد الهجرتين الثانية والثالثة رغبة منهم في الابتعاد بأبنائهم عن صورة اليهودي القديم، يهودى الشتات، " وألقوا على كاهلها مهمة أن يحقق في حياته نبوءة الأجيال الصهيونية، حتى أصبح اصطلاح (الصبار) جزءاً من تلك المحاولة التي لجأت إليها الصهيونية لاصطناع لغة واصطلاحات خاصة بها تعبر عن واقع إسرائيلي محدد لا نظير له في غير إسرائيل من المجتمعات اليهودية. ومن هنا فإن تعبير (الصبار) إنما يخدم في نهاية الأمر هدفاً سياسياً صهيونياً، وهو الإيهام بأن الصهر الاجتماعي لمختلف الأصول الحضارية لليهود قد تحقق في إسرائيل، وتمثل في جيل جديد هو جيل (الصباريم) الذي تتلشى فيه تلك الفروق الحضارية. وهو جيل يضم قطاعاً من الشباب الإسرائيلي يتميز بخصائص نفسية محددة متجانسة كالقوة الجسمانية وانتصاب القامة (على النحو الذي عكسه الأدب العبري في إسرائيل) " (٢).

ولكن الرواد الصهيونيين تناسوا تماماً الذات الإنسانية وهم يسعون لخلق نمط جديد لشخصية اليهودي. وهو ما عبر عنه أهارون ميجد في روايته (أنا وحدنا) 1953. " ويكمن تميز ميجد، في تلك الرواية، في الرؤية اللاذعة التي شخصت الصورة التي حلت بأبناء جيل الصباريم مع قيام الدولة، أي بداية خلو هويتهم من مضامينها وتحولوا إلى صورة للهوية الصهيونية التي لا يوجد بينها وبين نمط الحياة والثقافة الحياتية الكثير. لقد فقد البطل

(١) ساميخ يزهار: "شبعاه سيبوريم" (سبع قصص)، دار نشر هاكيوتس هاموحد، القدس، 1971، (ص83).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب 1967، مرجع سابق، (ص23).

في هذه الرواية (الأنا) الخاصة به، وفراره من (الكيوتس) الذى مازال يعد بؤرة الإنجاز الاستيطاني الاجتماعي المستقل على أرض فلسطين، وذهابه إلى المدينة لم يكن فقط ابتعاداً عن القيم الصهيونية بقدر ما كان فراراً من هويته إلى أين؟ إلى تغيب مطلق بجانب حضور الصهيونية القوية لزوجته (حدفا) " (1).

لقد حاول ميجد في الرواية أن يبين لنا أن اختفاء الهوية الذاتية للبطل أمام الهوية الصهيونية لم يكن بطبيعة الحال إلا تمزقاً نفسياً جديداً دلت الصهيونية بدلها فيه في محاولتها لخلق شخصية قوية تضحى بحياتها من أجل الآخرين؛ حتى تتناسب مع مرحلة تثبيت أركان الدولة الوليدة القائمة على طرد الآخرين وسفك دمائهم، ولم تضع في اعتبارها طبيعة النفس البشرية وتمركزها حول ذاتها فباعت محاولاتها بالفشل. وهى أمور طرحها ميجد في هذه الرواية بصرف النظر عما إذا كان طرحه هذا يمثل نقداً أو تأييداً لهذه الشخصية التى رفضت الامتثال لقيم الصهيونية التى لا تتوافق مع الواقع الحياتى كما ينبغى أن يكون.

ويؤكد اليعازر شفايد على أن البطل فى هذه الرواية قد تخلى عن بطولته وتحول فى ظل هذه الظروف إلى لا بطل: " لقد تحول البطل فى هذه الرواية دفعة واحدة إلى لا بطل عندما ترك مسرحه وذهب إلى مسرح آخر. وإذا كانت هذه النفسية تذوب بسهولة كبيرة إلى هذا الحد أمام قوة الهوية لزوجته حدفا، وإذا لم يبق منها بذهابه إلى المدينة سوى رمزها الخارجى الممزق، وهو قبعة (التمبل) والسروال القصير، فإنه يتضح لنا أن هذه الهوية منذ البداية لم تكن أكثر من واقع شخصى متفوق داخل هذا الرداء الخارجى، وأنه منذ البداية لم تكن هذه الهوية إلا هوية ساحقة لجماعة وحدها زيتها الطليعى والقتالى... ولكنهم اختفوا خلف هوية هذه الجماعة التى تفتقر إلى النفسية الفردية العادية. لقد كشفت هذه الحقيقة المؤلمة حينما جاء وقت لم يثر فيه كل هذا احتراماً، بل سخريه. إنها جماعة فى طريقها إلى التحلل والتفسخ " (2).

وهكذا عبر ميجد فى هذه الرواية عن سبب ضعف الهوية الصهيونية لدى الشخصية الصبارية. ولماذا لم تصل إلى حد الامتصاص والذوبان. فقد تركت الساحة فى أول اختبار فعلى لها، ونفضت عنها قيود هذه الجماعة المقاتلة التى تؤمن بقيم الصهيونية فقط وتطمس ذاتها.

(1) أنظر: أليعازر شفايد: " زهوت يهوديت تسيونيت " (الهوية اليهودية الصهيونية)، مرجع سابق، (ص20).

(2) تمبل: هى كلمة عامية عبرية تطلق على غطاء الرأس المميز للشخصية الإسرائيلية " الصبار "، وهى من الكلمة العامية الإنجليزية " دومبل ".

(3) أليعازر شفايد: " زهوت يهوديت تسيونيت " (الهوية اليهودية الصهيونية)، مرجع سابق، (ص20).

وفي إطار البحث من جديد عن هوية للفرد الإسرائيلي كتب موشيه شامير روايته (لكونك عارياً) 1959. وفي هذه الرواية يقوم البطل موشيه بتحطيم الألواح (إشارة إلى ثورة موسى وتحطيمه لألواح الوصايا العشر) الخاصة بالحركة الصهيونية الاشتراكية ويثور ضد عيمك الأب الروحي لهذه الحركة. ويقوم موشيه بكتابة مسرحية يعبر فيها عن موت الأبناء قرباناً على مذبح الصهيونية، ويشعر بأن إسرائيل قد بناها الرواد الصهيونيون (الآباء) على جسد (الأبناء)، وهو موضوع المسرحية التي كتبها موشيه بطل الرواية. لقد عبرت هذه الرواية عن صراع آخر يتمثل في الفجوة العميقة بين الآباء والأبناء هؤلاء الآباء الذين سعوا إلى تحقيق هدفهم على حساب أبنائهم ودفنوا بهم إلى هوة عميقة ومظلمة. " إنها رواية تشتمل، دون شك، على إرهابات الأزمة التي حدثت في الستينيات في المجتمع الإسرائيلي، تلك الأزمة التي دفعت بالأدب الإسرائيلي للبحث عن هوية الفرد الإسرائيلي من جديد، وبحث موقفه وارتباطه بالقيم الصهيونية التي أصبحت محل مناقشة وشك. لقد فتح (تحطيم الألواح) إمكانات جديدة ومجالات جديدة أمام الأدب " (□) للتنقيب في الذات الإنسانية والبحث لها عن مخرج من تلك الأزمة الوجودية، والبحث لها عن هوية ترعى فيها الجانب الذاتي والشخصي.

" وبذلك يلتقي أبطال شامير مع الأبطال المتخبطين والمتألين ليزهار... لقد سعى شامير إلى إدراك العمق اليهودي الذي كان خافياً عن أبطاله من خلف صهيونيتهم، ولاشك أنه سعى أيضاً إلى المواجهة ليس فقط مع الصهيونية الكامنة في الثقافة اليهودية، بل مع النزاعات الفكرية التي تشعبت حولها بسبب هويتها العلمانية التي أبعدت الهوية الروحية الدينية عن الفرد من أجل الهوية الصهيونية " (□).

" ومن هنا فإذا جاز لنا القول، بأن أدب 1948 قد ولد، بداية، في ظروف صاغته في إطار أدب فكري مجند، وهو ما يسمى بأدب (النحن)، إلا أنه ما لبث أن أخذ يلتمس طريقة نحو (الأنا) ليعبر عن الفرد وصراعاته وتخططاته في مواجهة التناقضات التي يعانيتها. وما أن وصل إلى (الأنا) حتى عاد كتابه وتساءلوا عن الصلة بينهم وبين (النحن) وعن حق الوجود الذي يمكن (للأنا) أن تمارسه دون ارتباط بالواقع الاجتماعي أياً كان. وهكذا تصارع هذا الأدب مع نفسه، وقام جيل جديد من القصاصين يحاول أن يقطع الرابطة بين (الأنا) والمجتمع، وجعل (الأنا) في مركز الوجود، وكان منهم من حاول أن يخلص الأبطال من أي ارتباطات اجتماعية وسعى إلى (الأنا) الخالصة، وكان منهم من كان عالمهم أكثر توازناً.

(□) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب 1967، مرجع سابق، (ص 33).

(□) ألبعازر شفايد: " زهوت يهوديت تسيونيت " (الهوية اليهودية الصهيونية)، مرجع سابق، (ص 23).

إنه صراع نتج في أعقاب أزمة حرب 1948 من أجل التخلي عن (الحنن) والسعي نحو (الأنا) " (11) .

(3) مرحلة ما بعد حرب يونيو 1967 :

جاءت حرب يونيو 1967 التي خاضتها إسرائيل ضد ثلاث دول عربية (مصر - سوريا - الأردن)، واحتلت على أثرها أجزاء عديدة من أراضي هذه البلاد، لتمثل محنة جديدة من المحن التي أثقلت كاهل النفس الإسرائيلية. فعلى الرغم من الانتصار الكبير الذي حققته العسكرية الإسرائيلية في هذه الحرب، فإنها أضافت أزمة جديدة من الأزمات التي تتفجر بعد كل حرب تخوضها إسرائيل .

" لقد تمخضت حرب يونيو 1967 عن عدة اتجاهات طفت على سطح الحياة السياسية في إسرائيل، تجاه ما أسفرت عنه هذه الحرب من نتائج التوسع الإقليمي الإسرائيلي، باحتلال أراض عربية تبلغ مساحتها أكثر من ثلاثة أضعاف حجم دولة إسرائيل " (12) :

(1) اتجاه رأى أن الأراضي التي تم احتلالها هي جزء من (أرض إسرائيل الكبرى) وفق

الحدود الواردة في الوعد الإلهي في التوراة واعتبرت هذه الأراضي محررة

(2) اتجاه حاول استغلال ميكانيزم الصراع العبري الإسرائيلي بشأن فرض الأمر الواقع .

وأنه مع التسوية وتغيير معالم المناطق المحتلة والسعي لتهودها سوف يعترف العالم بأن هذه الأراضي هي جزء من دولة إسرائيل .

(3) اتجاه معتدل رأى في احتلال هذه المساحات من البلاد العربية ورقة للمساومة من أجل السلام واعتبر هذه المناطق المحتلة هي مناطق محتفظ بها .

(4) اتجاه رفض مبدأ احتلال أراضي الغير بالقوة ورفض الاعتراف بأن هذه الأراضي هي

جزء من (أرض إسرائيل الكبرى) واعتبر أن إسرائيل تحولت إلى دولة احتلال

استعمارية بما يتناقض مع أخلاقيات الصهيونية وأطلق على هذه الأراضي المناطق المحتلة .

وكما اختلفت ردود أفعال هذه الحرب على الساحة السياسية، كان هو الحال أيضاً على الساحة الأدبية، لتمثل هذه الحرب منعطفاً جديداً في موقف الأدب العبري الإسرائيلي من الصهيونية، حيث تباينت ردود أفعال هذه الحرب لدى الأدباء الإسرائيليين، ليعبر بعضهم عن دائرة الحرب المفرغة التي تمثل محنة جديدة زادت وطأتها بعد هذه الحرب من ناحية، وليعبر بعضهم الآخر عن الانتصار والفخر والغطرسة الإسرائيلية من ناحية أخرى، "

(11) د. رشاد عبد الله الشامي : عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب 1967، مرجع سابق، (ص 28).

(12) انظر د. رشاد عبد الله الشامي : إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص 179).

حيث كان أدبهم يعبر عن أدب القوة والغرور والغطرسة والفخر والحماس وعدم الاكتراث بالآخرين، ويجسد الشخصية الإسرائيلية القوية المنتصرة التي لا تعرف غير القوة وسيلة للتفاهم مع العرب والتمسك بالأراضي العربية المحتلة " (1).

لقد ألفت هذه الحرب بظلالها على موقف الأدباء الإسرائيليين بالنسبة لردود أفعالها على المجتمع الإسرائيلي بصفة عامة، وعلى الفرد الإسرائيلي بصفة خاصة، بحيث يمكن القول بأن إسرائيل هزمت نفسها في هذه الحرب على حساب القلق الوجودي وأحاسيس التخبط والقلق من المصير المجهول، وهي أحاسيس عبر عنها الأدب العبري بأكثر مما عبر عن أحاسيس الفخر بالانتصار.

وعلى سبيل المثال، رأى الأديب الإسرائيلي حانوخ برطوف أن المجتمع الإسرائيلي وقع في الأسر بعد هذه الحرب، وأن إسرائيل لم تنتصر في هذه الحرب، حيث كتب يقول: " بالرغم من إننا انتصرنا في الحرب، فإننا نحن المحتلون والمحاصرون؛ لأن لدينا تحبّطات تكفى للموت... ويوجد هنا شعب صغير، هو بالكاد شعب، في منطقة هي بالكاد أرض، مع كوايس بسبب حدود لا يعرف ماذا يفعل بها، ويريد السلام ولا يستطيع الحصول عليه " (2).

وهو وضع يعلق عليه شلومو أفنيري قائلاً: " ظهرت الصهيونية بعد حرب يونيو 1967 تحت مفهوم الأرض و السيطرة و السيادة وضم الأراضي. فماذا أدنى من أن الإعلام العربي، في مثل هذا الوضع، يعرض دولة إسرائيل والصهيونية في مقارنة مع الاستعمار والنظام الاستعماري إننا حال تصورنا أن الصهيونية هي حركة للتحرير القومي، فمن الصعب أن نحكم عليها حكماً يتساوى مع الاستعمار، ولكن وقت أن نصبح في نظر الآخرين كمحتلين فإن المقارنة مع الاستعمار تصبح مطلوبة. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يساعد الإعلام العربي ويطلق له العنان في نظره للصهيونية (كحركة من أجل أرض إسرائيل الكاملة)... لقد تحولنا من حركة لتحرير اليهود إلى حركة للمطالبة بالأراضي " (3).

هذا، ولم يختلف رد فعل هذه الحرب على الإنتاج الأدبي في إسرائيل اختلافاً كبيراً عن رد الفعل بعد حرب 1948 " فإذا كان الإحساس العام الذي ساد الجو الأدبي في إسرائيل

(1) د. محمد فوزي ضيف: الاتجاهات الجديدة في الأدب العبري بعد حربى يونيو 1967 وأكتوبر 1973 دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1987، (289).

(2) حانوخ بارطوف: " هامونوتساحيم فهامكوتاريم " (المتصورون المحاصرون)، صحيفة معاريف الإسرائيلية، 9-5-1969. (نقلاً عن د. رشاد الشامي: عجز النصر، مرجع سابق، ص 49).

(3) شلومو أفنيري: " شيلوت حفراه اومدينوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية في إسرائيل، مرجع سابق، (ص 44، 45).

بعد عام 1948 وحتى عام 1967 هو إحساس الشعور بالمأساة التي خلفوها للعرب، والخوف الوجودي الذي لبس أحيانا صورة المقارنة بمصير الصليبيين والخوف من الجار والغريب على وجه العموم، ونبذ الاستمرارية الوجودية متمثلة في رفض التوالد خوفاً من المصير المجهول، فإن الصورة لم تختلف بعد حرب 1967 كثيراً، بل زادت تعقيداً، وابتعدت عن المجتمع أكثر، وأكثر وأصبحت تتناول الفرد بصورة أساسية وتخضع لكل تيارات الأدب الأوروبي التي تغالى في تعرية الفرد من الداخل " (1) الذي أصبح يتشكك في مصداقية الصهيونية، وهو شك أخذ يتعاظم بمرور الوقت وجعله يضع علامات استفهام عديدة حول القيم الصهيونية ومعانيها؟ .

" وقد أكد البرفيسور جرشوم شوكين على أن الوعي المتمثل في إدراك حقيقة فشل الدولة في تجسيد الحلم الصهيوني قد برز بقوة لدى دوائر الشباب بعد حرب 1967 مباشرة وذلك في الكتاب الذي أصدره عاموس ايلون تحت عنوان (حديث المحاربين) والذي ضمنه مواقف جيل الشباب في إسرائيل تجاه الدولة وشعورهم بحيبة الأمل ... وختم شوكين كلامه بأن كل من يعتبر قيام دولة إسرائيل ذات القوة المادية الكبيرة دليلاً على نجاح المشروع الصهيوني فإنما يضل نفسه . فهدف الحركة الصهيونية أساساً لم يكن يتمثل في إقامة دولة يهودية تتحدث العبرية وتبنى لنفسها جيشاً قوياً بل كان هدفها الأساسي هو حل ضائقة اليهود في أماكن انتشارهم " (2) .

وهكذا، أوقعت هذه الحرب المجتمع الإسرائيلي في مأزق جديد ؛ حيث وجد الفرد الإسرائيلي نفسه يعيش تناقضاً حاداً بين فرضيات الأيديولوجية الصهيونية التي تدعو إلى جعل اليهود شعباً مثل سائر الشعوب وبين الواقع المغاير لهذه المبادئ الذي تكشف بعد ذلك في سياسة التوسع الإقليمي وضم الأراضي على حساب شعب آخر . ومن هنا شعر الفرد الإسرائيلي بالخدعة الصهيونية وبالواقع المرير الذي يعيشه المجتمع في ظل حلقة مفرغة من الحروب تتعاظم بعد كل حرب يخوضونها وتزيد من الهوة السحيقة التي وقع فيها الإنسان الإسرائيلي .

" إن الأدباء الممثلين لمرحلة ما بعد حرب 1967 أمثال عاموس عوز وأبراهام بيت يهوشوع وإسحق أورباز وديفيد شاحار ويهودا عميحاي وإسحق أورن وشلومو نيتسان، وهم جميعاً ممن اتخذوا مواقف يسارية، كانوا مخلصين في إبداعاتهم لذلك العالم المميز بجو

(1) د . رشاد عبد الله الشامي : عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب 1967، مرجع سابق، (ص 50،51) .

(2) د . محمد محمود أبو غدیر : إسرائيل بعد خمسين عاماً، البوتوييا الصهيونية بين الحلم والواقع، مجلة إبداع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد السادس 1998، (ص72) .

الغربة والعزلة والانطواء والكشف عن العالم الداخلى والمنعزل للأبطال الذين يخضعون لعقلانيتهم وقد فقدوا سلامة الهوية تماماً، ويواجهون بشاعة المجتمع بعد تعريته من أقتعته المزخرفة ويبعدون الأوهام عن أنفسهم ويضعون علامات الاستفهام المريرة من خلال بنیان رمزي مجازي" (□).

لقد عكس هؤلاء الأدباء الإسرائيليون هذا الوضع الجديد الذي تمخض عن حرب يونيو 1967 في إنتاجاتهم الأدبية، بشكل نستطيع من خلاله أن نستقرئ حالة الحصار النفسي والإحساس بالضياع والهلاك التي أصابت الفرد الإسرائيلي بعد هذه الحرب، وذلك من خلال بعض الأعمال الأدبية مثل رواية (نمل) لإسحاق أورباز التي صدرت بعد هذه الحرب بعام تقريباً. وتحكى هذه الرواية عن زوجين إسرائيليين يعيشان في شقة بتل أبيب. وهذه الشقة في انهيار متزايد، وذلك من جراء هجوم غريب من النمل، حيث يقرض حوائطها تدريجياً، ويظل يعقوب الزوج يتصارع مع النمل ويبنى حائطاً أمام حائط دون جدوى حيث يعود النمل مرة أخرى لمهاجمته. ويعلق إيهود بن عيزر على المعنى الرمزي للنمل في هذه الرواية قائلاً: " يبدو أنه من الصعب أن نخطئ في تحديد المعنى البارز الذي يدل عليه النمل في هذه الرواية، ذلك المعنى الذي يهتم بتلك المنطقة الوجودية للمحنة العاتية التي يحدث فيها كابوس انهيار حنة جونين في رواية (عزيزى ميخائيل) لعاموس عوز، ويحدث كابوس حرق الغابة في قصة (أمام الغابات) ليهوشواع. أما كابوس النمل لأورباز إلى جانب كونه يشير إلى حياة رجل وزوجته على حافة الانهيار، فهو كابوس مغروس بصورة واضحة في إحساس الحرب والحصار، وفي الإرهاق من الوضع الوجودي الذي يصل إلى درجة كابوس الانهيار النفسي والإحساس بالضياع والهلاك" (□).

كما انعكست تحبظات المجتمع الإسرائيلي وصراعاته وتساؤلاته في رواية يجال ليف (والله يا أمى إنى أكره الحرب). " وتعد هذه الرواية من أولى الروايات التي صدرت في أعقاب حرب 1967، لكنها ليست أروع ما كتب عن المعارك التي دارت على جبهات القتال، وإنما عن المعارك التي دارت في أعماق نفس المؤلف، وحول ما يمليه الضمير والعدل وما يمليه الخوف من الحرب والتعلق بالحياة والإخلاص للرفاق. وهى محاولة للكتابة من وجهة نظر شاب مقاتل ذاق بنفسه مرارة الحرب وأهوالها. والشخصيات التي يعرضها المؤلف هى شخصيات حية وموجودة - وهى الشخصيات التي أفرزها المجتمع

(□) د. رشاد عبد الله الشامي: خطوط عريضة لاتجاهات الأدب العبرى المعاصر فى إسرائيل، مجلة إبداع، العدد الأول 1995، (ص 25).

(□) إيهود بن عيزر: " بموليدت هاجعجو عيم هامنوجاديم، هاعرفى باسفروت هاعفريت " (فى وطن الأشواق المتناقضة، العبرى فى الأدب العبرى "، مرجع سابق، (ص 37، 38).

الإسرائيلي وخلق منهم جنوداً مقاتلين. ولذلك فإن هؤلاء الجنود هم لحم ودم وليسوا أبطالاً، وتعمهم باستمرار أحاسيس الخوف والتخبطات والأشواق إلى البيت، وإلى الحياة اليومية وذلك منذ تحركهم من اللطرون قبل القتال وحتى وصولهم إلى ضفاف نهر الأردن في نهاية المعركة" (□). وهي نفس الأحاسيس التي عبر عنها ليف أيضاً في قصته (بعد الحرب بيوم واحد) حيث تعبر هذه القصة عن التمزق النفسي من جراء هذه الحرب من جانب أحد الجنود الإسرائيليين حتى في ظل مشاعر الانتصار. إن (يوسى) البطل في هذه القصة يتساءل بعد عودته من إجازة لمدة ثمان وأربعين ساعة عن رفاقه الذين سقطوا، وظل هو على قيد الحياة، وعن ثمن هذه الحرب في ظل تخبطات الجنود وتساؤلاتهم عن جدواها. وهكذا، عبر بعض الأدباء الإسرائيليين عن تخبطات ذلك الجيل وتساؤلاته عن الحلم الصهيوني ووعوده بأن الحياة سوف تصبح مستقرة وآمنة في أرض فلسطين، وانعكس ذلك في الكثير من الأعمال الأدبية لدى العديد من الأدباء كل بأسلوبه، كما رأينا يهوشوع وهو يعبر عن عدم إيمان بعضهم بجدوى الاحتلال والطرده من خلال تعاطف البطل أو الحارس الإسرائيلي في قصته (أمام الغابات) 1968 مع الشخصية العربية، فيقوم بمساعدة العربي في إحراق الغابة التي أقيمت على أنقاض قريته العربية. وهو ما يعكس التمزق النفسي والتساؤلات عن جدوى الحروب وسقوط الضحايا التي عبر عنها العديد من الأدباء الإسرائيليين بعد حرب 1967، إنها أحاسيس مريرة دفعت بعضهم إلى الوقوع في هوة سحيقة من الارتباك والتخبط والسؤال الدائم عن الاستقرار الذي وعدت به الصهيونية. وهو ما عبر عنه بن عيزر محلاً الوضع الذي آل إليه المجتمع الإسرائيلي بعد هذه الحرب بقوله: " لقد وعدنا الحلم الصهيوني أن يكون التاريخ في أرض إسرائيل مستقراً، لكن هاهو الصدى الفكري العميق للأدب الذي يكتب في إسرائيل، إنه أبعد ما يكون عن أي مفهوم للهدوء والاستقامة " (□).

(4) مرحلة ما بعد حرب أكتوبر 1973:

لا يمكن أن يختلف اثنان على أن كلاً من حربي يونيه 1967 وأكتوبر 1973 كان لهما أكبر الأثر في المجتمع الإسرائيلي على كل الأصعدة السياسية والثقافية والأدبية، لاسيما وقد أحدثت حرب أكتوبر 1973 هزة عنيفة داخل المجتمع الإسرائيلي الذي عمه التخبط والانكسار بعد أحاسيس الغطرسة والفخار والقوة الوهمية لإسرائيل في أعقاب حرب

(□) د. رشاد عبد الله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب 1967، مرجع سابق، (ص 127).

(□) د. محمد فوزي ضيف: الاتجاهات الجديدة في الأدب العبري بعد حربي يونيه 1967 وأكتوبر 1973 مرجع سابق، (ص 64).

يونيه 1967. وقد دفع هذا التحول ببعضهم إلى الإحساس بالملل والاكتئاب من دائرة الحرب المفرغة التي اكتشفوا أنها لا طائل منها سوى مزيد من الضحايا والتمزق النفسى العميق للشخصية الإسرائيلية بعد كل حرب. ولأن الحرب، كما وصفها مفكرو إسرائيل وأدباؤها كانت بمثابة " زلزال " هز إسرائيل، فإنها كشفت القناع عن زيف الادعاءات القائلة بضرورة الاحتفاظ بكل الأراضى التي تم احتلالها فى 1967 لضمان أمن الشعب الإسرائيلى وسلامته، وهو ما دفع بعضهم إلى رفع راية التغيير فى أهداف وتوجهات الدولة.

وقد عبر عن هذه الحالة الصحفى الإسرائيلى شلومو أفينيرى فى أحد مقالاته بصحيفة معاريف 8 / 11 / 1974، حيث كتب قائلاً: " فى أعقاب حرب أكتوبر 1973 ظهر على الساحة فى البلاد اتجاه يشير إلى الصعوبات والمحن التى واجهت الوجود اليهودى فى فلسطين. ويرى هذا الاتجاه أنه إذا كان هدف الصهيونية هو الإتيان بشعب مثقل بالمتاعب ومتخم بالمشكلات والمرارات إلى شواطئ الراحة والإرث (فلسطين)، فهذا هو يجد نفسه بعيداً عن كل الآمال، شعب يجلس فى صهيون على فوهة بركان على وشك الانفجار فى أية لحظة. فالحرب تتبعها حرب، ومزيد من جثث موتى حرب 1973 ملقاة أمامنا وفى نفس الوقت فنحن مطالبون بمواجهة حرب أخرى محتملة... بعد أن رأينا الخطر يرفرف على رؤوسنا هنا فى إسرائيل مرتين فى حرب يونيه 1967 وأكتوبر 1973 " (1).

" لقد أدى نشوب هاتين الحربين، يونيه 1967 وأكتوبر 1973، إلى جعل مسائل أساسية فى الواقع اليهودى الإسرائيلى وفى الأيديولوجية الصهيونية، ملموسة بعد أن كان قد تم التخلص منها، وطففت الخلافات على السطح دون أن تكون هناك إمكانية لحلها. ووقف المجتمع الإسرائيلى فى مفترق الطرق، وأصبح عليه أن يحدد لنفسه هويته وماهية اليهودية والصهيونية " (2).

وقد أكدت الدراسات النفسية التى أجريت على الجمهور الإسرائيلى بعد حرب 1973 عمق الإحساس بالإحباط والمرارة، حيث إن هذه الحرب حطمت الغرور الإسرائيلى ما بعد حرب 1967، وآلت بالمجتمع الإسرائيلى إلى مزيد من الانكسار. ونفس هذه الحقيقة " أكد عليها المفكر الإسرائيلى يشعياهو لايبوفتس فى دراسة له عن حرب 1973، حيث سبق وأن حذر من اندلاع تلك الحرب قبل وقوعها بسنوات، حيث أكدت تلك الدراسة على أن حرب 1973 قد عمقت داخل الجمهور الإسرائيلى مشاعر الكآبة وخيبة الأمل

(1) شلومو أفينيرى: " شيعلوت حفراه اومدينوت بيسرائيل " قضايا اجتماعية وسياسية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 47: 50).

(2) د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص 221، 222).

والشعور بالإحباط والفشل" (1). " وأما البروفيسور جرشوم شوكين، فإنه يرى أنه إذا كان الوعي المتمثل في إدراك حقيقة فشل الدولة في تجسيد الحلم الصهيوني قد برز بقوة لدى دوائر الشباب بعد حرب 1967 مباشرة وذلك في الكتاب الذي أصدره عاموس ايلون تحت عنوان (حديث المحاربين) والذي ضمنه مواقف جيل إسرائيل تجاه الدولة وشعورهم بحياة الأمل، فإن هذه المشاعر قد تعاضمت لتشمل مختلف القطاعات السكانية في إسرائيل بعد حرب 1973 ... ويرى المفكر الإسرائيلي حاييم بن شاحر أن الواقع الصهيوني الحالي في إسرائيل يختلف تماماً عن الحلم الصهيوني الأصلي. فيهود العالم لم يتجمعوا فيها. والدولة تواجه مشاكل كثيرة وهي أبعد من أن تكون جنة عدن التي وعدت الصهيونية بتحقيقها لليهود" (2).

وعلى الساحة الأدبية، كان للأدباء الإسرائيليين دورهم في التعبير عن هذه الحرب التي مثلت لهم نقطة تحول ومزیداً من الوقود على النار المتأججة في نفوسهم من جراء الحروب المتواصلة، وراحوا يكتبون عن مشاعر الإحباط واليأس والانكسار ويتقدون الحكومات الفاشلة ويلعنون الصهيونية التي أتت بهم إلى هذا المكان ووضعت مستقبلهم ومستقبل الدولة في حلقة مفرغة. إنها روح يائسة راحت تدب في الأدب الإسرائيلي شعراً ونثراً بعد هذه الحرب؛ مما دفع أحد النقاد العبريين إلى التحذير من هذه الروح، وضرورة ضبط النفس، حتى يمكن العودة إلى الحياة مرة أخرى فكتب يقول: " لقد أدت هذه الحرب إلى حالة من الارتباك الشديد، وهو ارتباك ينسحب على الأدباء كذلك، إنني لا استنكر الحيرة والارتباك. . . غير أنه لا بد وأن نقدر أن الحائرين المرتبكين ليس في مقدورهم أن يكونوا هداة أو مرشدين للحائرين. إن الأدباء مازالوا مستمرين في إظهار استجاباتهم تجاه الأحداث التي وقعت كل حسب وجهة نظره. . . وبينهم قلة تجاهد لكي تشجع الشعب وتوازره في محتته. . . غير أن هناك في نفس الوقت آخرين عديدين يضيفون أحزاناً على أحزان. لقد اهتزت ثقتهم اهتزازاً شديداً فراحوا يزرعون اليأس حولنا الأمر الذي ينطوي على خطر شديد يهدد مستقبلنا" (3).

هذا، وقد كان لحرب أكتوبر 1973 أثرها في توجهات الأدب العبري المعاصر بدءاً من منتصف السبعينيات، حيث أدت هذه الحرب إلى مولد مذهب أدبي جديد هو المذهب الديكادنتي (مذهب التفسخ والتحلل).

(1) د. محمد محمود أبو غدیر: المثقفون والسلطة في إسرائيل، مجلة إبداع، القاهرة، العدد السابع يوليو 1998 (ص 43).

(2) انظر د. محمد محمود أبو غدیر: إسرائيل بعد خمسين عاماً، اليوتوبيا الصهيونية بين الحلم والواقع، مرجع سابق، (ص 72).

(3) (نقلاً عن د. إبراهيم البحراوى: الأدب الصهيوني بين حريين حزيان 1967 - تشرين 1973، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، (ص 22).

" ويتسم هذا المذهب بالنظر إلى المجتمع الإسرائيلي بالتشاؤم والسوداوية إزاء المستقبل المجهول، كما يكتنفه الخوف من الانهيار والتفتت كنتيجة حتمية للفساد المستشري، حيث يؤكد اتباعه في أكثر من موضع على تضائل الرغبة في الحياة لقتامتها، بالإضافة إلى الشعور بالغروب والأفول والدمار والموت" (□).

وقد اتسم هذا المذهب أيضاً بتقييم الصهيونية في ظل الوضع الإسرائيلي القائم بعد حرب 1973. " وذلك من خلال تقييم حالة اليهود في ذلك الوقت وحالتهم قبل قيام الدولة إبان الشتات. وينتمي إلى هذه المذهب يتسحاق بن نير ويعقوب شبتاي" (□). ويتميز أدباء هذا المذهب في أعمالهم بالتعبير عن التمزق النفسي لأبطالهم، حيث يقول يوسف أورن في هذا المقام: " إن الإحساس بالحياة في هذه الأعمال في طريقه إلى الزوال، ويشعر به الأبطال وهو يتحقق في الواقع، إنهم يعيشون في حالة ضبابية يعقبها ظلام دامس" (□).

وهكذا تركت هذه الحرب أثراً عميقة أدت إلى تغلغل بعض الأدباء الإسرائيليين في أعماق النفس الإسرائيلية وكشفوا لنا عن مشاعر التخبط والانكسار والإرهاق من الحروب وخيبة الأمل من النبوءات والأيدولوجية الصهيونية مثل يتسحاق بن نير في روايته (غروب قروي) 1967، ويعقوب شبتاي في روايته (ذكرى الأشياء) 1977، وهما يعدان بمثابة التعبير العميق والمركز عن الحالة الروحية التي اجتاحت المجتمع الإسرائيلي خلال السبعينيات" (□).

" وتكشف الرواية القصيرة الساخرة (بعد المطر) 1979 لیتسحاق بن نير أيضاً عن الشارع الإسرائيلي الذي غرق في الدهشة بعد حرب 1973، وهي عمل أدبي يقترب في لمسه لنفسية الشارع الإسرائيلي عن عدة روايات أخرى، حيث يصف بن نير كيف أنتجت تلك الفترة مسحاء السوق، وأنبياء الشارع والمهلوسين، والعرافين، والمنجمين والسحرة. وتصاحب هذه الرواية المسيرة التي حولت دنسبجر خلال سبع ساعات فقط من إنسان سليم العقل إلى واحد من الأنبياء المهلوسين، الذي يتنبأ بالخلاص من خلال وصف متحمس لوجود نפט في البلاد" (□). وتهاجم هذه الرواية أيضاً الاستيطان والمستوطنين،

(□) د. زين العابدين محمود: الأدب العبري الحديث، مرجع سابق، (ص223).

(□) أنظر: يوسف أورن: "هاهيتكبחות باسيبورت هايسرائيليت" (عودة الوعي في الأدب القصصي الإسرائيلي)، دار نشر ياخذ، تل أبيب، 1983 (ص19: 21).

(□) نفس المرجع (ص23).

(□) د. رشاد عبد الله الشامي: الاتجاهات الرئيسية للأدب العبري المعاصر في إسرائيل، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد 24، العدد الثالث، يناير/ مارس 1996، (ص33).

(□) يوسف أورن: "هاتسبونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيليت" (الصهيونية والصلابية في الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص15، 16).

باعتبارهم السبب في كل ما لحق بإسرائيل من ويلات حرب أكتوبر 1973 وأنهم سيكونون السبب في أية حرب جديدة.

ومن أبرز الروايات العبرية التي تحدثت عن الأثار السلبية والموجعة لحرب أكتوبر 1973 رواية (العاشق) 1977 للأديب الإسرائيلي أ. ب. يهوشوع التي أكد فيها على إفلاس الحركة الصهيونية وخيبة الآمال في تثبيت أركان الدولة.

ويمكن القول، إن الفكرة الرئيسية لهذه الرواية كانت هي حرب أكتوبر 1973، حيث تستهل أحداث الرواية بالدهشة التي أصابت الجميع من عنصر المفاجأة التي بدأت بها هذه الحرب:

" حقاً، كانت هذه حرباً حقيقية وقعت علينا بمفاجأة تامة " (1) حتى إن بعضهم لم يصدق ما حدث، " من الذي كان يصدق ما حدث " (2).

وتشير هذه الرواية أيضاً إلى الفوضى التي عمت البلاد في أثناء هذه الحرب والهلع والخوف والوجوم الذي أصاب الجميع، وكثرة عدد الجثث والمفقودين، وحالة الملل والكآبة من الحروب المتوالية ورفضها، حتى إن جبرئيل أحد أبطال الرواية يحاول الهروب من على الجبهة في سيناء عدة مرات وينجح في النهاية في الهرب متخفياً في زى متدين. ويشير جبرئيل هنا إلى رفض الحروب والخوف منها حيث يبدو في الرواية خائفاً مذعوراً ويتهم الدولة بأنها أرادت قتله في هذه الحرب، " ببساطة، لقد أرادوا قتلي " (3)، " كان يأمرونا أن نحفر حفرة عميقة في باطن الأرض. كان كل واحد منا يحفر قبره بنفسه " (4).

ووصف يهوشوع في هذه الرواية ماذا تفعل الحروب في الشباب، خصوصاً حرب أكتوبر 1973: " لقد أصبح كل الشباب في عداد الشيوخ، فابيض شعرهم بفعل الصحراء... وأصبحت الوجوه واجمة، والعيون غائرة من قلة النوم " (5).

وهكذا، عبر يهوشوع في تلك الرواية عن آثار هذه الحرب على المجتمع الإسرائيلي الذي أصبحت الحروب تحيط به من كل جانب، فهو يعيشها رغم أنه ويتوقعها في أية لحظة. وهو هنا يلقي باللوم على الصهيونية التي وعدت جموع اليهود بالوطن الآمن، وإذا بهم يستنشقون رائحة البارود في كل وقت ويودعون أبناءهم ويكونهم. ولعل هروب

(1) أفراهم بيت يهوشوع: " هامتهيف " (العاشق)، رواية، دار نشر شوكن، القدس وتل أبيب، 199، (ص9).

(2) نفس المرجع (ص220).

(3) أفراهم بيت يهوشوع: " هامتهيف " (العاشق)، رواية، مرجع سابق (ص352).

(4) نفس المرجع (ص372).

(5) نفس المرجع (ص372).

جبريئيل من الجبهة يشير إلى ضعف ارتباطه بالفكرة الصهيونية وفشلها كما أشار هليل برزيل إلى ذلك⁽¹⁾.

لقد أعادت حرب أكتوبر 1973 مسألة تقييم الصهيونية في الأدب الإسرائيلي مرة أخرى، مثلما حدث في الحروب السابقة " وشكلت الحالة النفسية القومية مادة خصبة لتقييم الصهيونية في الأدب الإسرائيلي بعد حربي يونيه 1967 وأكتوبر 1973. وكشفت هذه الروايات عن حالة الصهيونية بأسلوب التحقيق من خلال عائلة متعددة الأجيال ... لتبقى شاهداً على فشل الصهيونية في سنوات الدولة " (2).

(5) مرحلة الثمانينيات والتسعينيات (ما بعد الصهيونية) :

تميزت هذه المرحلة من تطور العلاقة بين الأدب العبري والصهيونية بالنقد المباشر للحركة الصهيونية، حيث واصل الأدب العبري خلال الثمانينيات من القرن العشرين الاتجاه الذي بدأه منذ السبعينيات في تنقية الأجواء من الشوائب الأيديولوجية، وتم التعامل مع الصهيونية بصورة مباشرة وصلت إلى حد المطالبة بالانفصال عنها بعد أن تسببت في كل المحن التي وقعت فيها الدولة، وإثبات فشل الصهيونية في التعامل مع الواقع المعاش.

والمتتبع للمتغيرات التي طرأت على تقييم الصهيونية وكيفية تعامل الأدب العبري المعاصر مع فرضياتها النظرية ومدى تلاؤمها مع الوقائع الجديدة، سوف يلاحظ أن هذا التقييم تأثر بالاهتزازات التي تعرضت لها أهداف الصهيونية ووسائل تحقيقها، وتمت المراجعة لمدى قوة الصهيونية في تحقيق أهدافها، وارتبط هذا التقييم بالأحداث التي أشارت إلى نجاحات الدولة وفشلها أكثر من أي شيء آخر. وكانت للحروب المتوالية التي خاضتها إسرائيل، وبخاصة حرب أكتوبر 1973، أثرها الكبير على المستوى النفسي في حدوث تغيرات فكرية في تقييم الأدب العبري المعاصر للصهيونية، خصوصاً من قبل الأدباء الإسرائيليين الذين يحسبون على اليسار الإسرائيلي، أمثال عاموس عوز ويهوشوع.

لقد جعل الجدل القائم حول نقد الصهيونية في الأدب العبري المعاصر، مع مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، بعض الأدباء والنقاد يطلقون السؤال التالي: هل مازال الأدب العبري المعاصر صهيونياً؟ خصوصاً أن هذا الأدب عبر في فترات وجيزة عن أهداف وتطلعات الصهيونية بإخلاص تام، ولكنه سرعان ما اتجه، بعد أن واجهت الدولة الكثير من المشكلات الداخلية والخارجية، إلى الشكوكية الشاملة في التعامل مع مدى صدق الصهيونية في نهجها، وفي احتمالات تحقيق مشروعاتها (الإقليمية، والديموقراطية،

(1) هليل برزيل: " مسابريم بيهودام "، دار نشر يحداف الجود، تل أبيب، 1981، (ص 67).
(2) يوسف أورن: " هاتسونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلي " (الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص 16).

وغيرها) ووصل الأمر إلى القول بأنه لم تعد هناك حاجة إلى الصهيونية بعد أن أقيمت الدولة، وبات الجو مهياً لفكرة التنكر لكل مبدأ صهيوني يسعى إلى ترسيخ مفاهيم ونظريات عفا عليها الزمن، ولا تتلاءم مع الوضع الراهن لدولة إسرائيل. وبدا في الأفق شبه اتفاق على أن الصهيونية قد آن أوان تشييعها إلى مثواها الأخير.

هذا وقد واكب هذه المرحلة الأدبية، على المستوى الاجتماعي في مجال العلوم الاجتماعية، ظهور مجموعة من الباحثين والمؤرخين الأكاديميين ممن أطلق عليهم (المؤرخون الجدد)، حيث طالبت هذه الجماعة بإعادة كتابة تاريخ إسرائيل وعلاقتها بالصهيونية. " وارتبط ظهور المؤرخين الجدد بتغيرات وتطورات شهدتها الساحة الإسرائيلية منذ السبعينيات، بدأت بصعود الليكود إلى السلطة لأول مرة عام 1977 واتجاهه نحو تطبيق سياسات تختلف من حيث التوجهات السياسية والعقائدية عن السياسات التي طبقت لسنوات عديدة بواسطة حكومات حركة العمل اليسارية " (1). كما ارتبط مصطلح (ما بعد الصهيونية) بفكر تلك الجماعة الجديدة، حيث " تبدو السمة المميزة لما بعد الصهيونية في رغبة مثقفين وفنانين في إعادة تقويم ما أنتجته الصهيونية من أحداث تاريخية والنظر في سلبياتها من جهة، وتحليل ونقد الوقائع الاجتماعية والسياسية الإسرائيلية، كما صارت عليه في التسعينيات ... وليس غريباً أن ينطوى مفهوم (ما بعد الصهيونية) على معان عدة، منها ما يفيد أن الصهيونية قد انتهت، وأن إسرائيل صارت على عتبة ولوج مرحلة جديدة. ويمكن أن يعنى مفهوم (ما بعد الصهيونية) غير ذلك " (2).

ويمكن القول، إنه إذا كانت المرحلة الأدبية التي أعقبت حرب أكتوبر 1973 " قد عبرت عن التفسخ الاجتماعي السياسي الذي اجتاحت إسرائيل في هذه الحرب، ووصفت المجتمع الإسرائيلي بأنه مصاب بمرض العصاب وأعربت عن رفضها الصريح لمسلسل الحروب التي بلا ثمن وطرحت بصراحة وضع الفلسطينيين ... إلا أن أعمالاً أخرى اعتباراً من الثمانينيات من القرن العشرين كانت أكثر حدة في تناولها لمفردات الأيديولوجية الصهيونية ونقدها مع محاولات لطرح البدائل للصهيونية الكلاسيكية التي رأوا أن زمنها قد انقضى وأن دورها قد انتهى وبدأ الطرح الأدبي لما أطلق عليه (ما بعد الصهيونية) " (3). وراح الأدباء الإسرائيليون اليساريون يعبرون عن تقييمهم لواقع هذه الأيديولوجية وفي أى

(1) د. محمد محمود أبو غدیر: إسرائيل ما بعد الصهيونية، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، المجلد الرابع، العدد 2: 4، 1995، (ص 61).

(2) انظر: معين الحداد: تحليل ظاهرة (ما بعد الصهيونية)، مجلة شؤون الأوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، لبنان، العدد 72 مايو 1998، (ص 7، 8).

(3) د. رشاد عبد الله الشامي: أدب ما بعد الصهيونية، مجلة سطور، العدد 38 يناير 2000، (ص 35).

شئ نجحت وفي أى شئ أخفقت . وتميزت الرواية العبرية المعاصرة بلهجة نقدية لاذعة عن بقية الأنواع الأدبية المختلفة، في الكشف عن ضعف الصهيونية وعن تدنى قدرتها على مواجهة التحديات التي واجهتها الدولة في أعقاب حرب أكتوبر 1973 وازدادت هذه الموجة النقدية مع مطلع الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن العشرين .

ويعلق يوسف أورن على هذه المرحلة التي قويت فيها الشكوكية تجاه الأيديولوجية الصهيونية قائلاً: " يتميز رد فعل الرواية الإسرائيلية تجاه الأيديولوجية الصهيونية بلهجة نقدية لاذعة ومستمرة . ففي البداية تكشف الرواية عن ضعف الصهيونية وقلة قدرتها على مواجهة التحديات التي يفرضها الواقع أمام الدولة الحديثة . وفي فترة متأخرة اتهمت الرواية الإسرائيلية الصهيونية بالفشل ، وبأنها السبب في كل المحن التي وقعت فيها الدولة " (1)

شهدت الثمانينيات أول رواية عبرية معادية للصهيونية كما أطلق عليها النقاد الإسرائيليون، وهى رواية (رواية روسية) 1988 لمئير شاليف، وفيها شكك شاليف في كل نظريات الصهيونية وقال إنها قائمة على أساطير ووهم وخداع . ويقول أورن فى هذا المقام: " وصلت الشكوكية حول الصهيونية إلى أوجها فى الثمانينيات، حيث كان الجو مهياً لقبول أول رواية معادية للصهيونية كتبها أديب إسرائيلى وهى رواية (رواية روسية) لمئير شاليف . وإذا كان رد فعل كل الروايات الأخرى حول الصهيونية رداً نقدياً شرعياً يتعامل مع الفشل الحقيقى والوهمى للصهيونية، فإن رواية شاليف أثارت الشك فى نظريات الصهيونية، خاصة وأنه يحرص على عرضها كـ (أسطورة) وكفكرة باطلة وكاذبة وشكك فى اعتماد الصهيونية على وجود صلة خاصة بين فلسطين وشعب إسرائيل " (2) .

كما عاد شاليف مع بداية التسعينيات ليؤكد فى روايته (عيسو) 1991، على اعتماد الصهيونية فى نظرياتها على الأساطير التوراتية فى ادعاء الحق الدينى والتاريخى لليهود فى فلسطين .

وفى العقد الأخير مع نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، صدرت رواية (مولخو) 1987 لـ أ. ب. يهوشوع، وفيها وجه النقد ضد الصهيونية وكشف عن اخفقاتها فى جميع الشتات، ووصل إلى ذروة نقده لها بالمطالبة بالانفصال عن الصهيونية الكلاسيكية

(1) يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلى " (الصهيونية والصبارية فى الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص9) .

(2) يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلى " (الصهيونية والصبارية فى الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص24) .

والمراهنة بأيديولوجية صهيونية جديدة تصب في المعطيات الواقعية التي تعيش فيها كل من الدولة والمجتمع الإسرائيلي .

وانضم عاموس عوز إلى موجة النقد الموجهة إلى الصهيونية، وأصدر روايته (راحة صحيحة) 1982، (صندوق أسود) 1978، وعبر فيهما عن فشل الصهيونية في إعداد وريث لجيل المؤسسين. بالإضافة إلى روايته (الحالة الثالثة) 1991 التي سخر فيها من رواد الحركة الصهيونية ومحاولاتهم الفاشلة في فرض نظرياتهم الصهيونية على الأبناء والأحفاد، وتطرق فيها أيضاً إلى فشل الصهيونية في إعداد وريث لجيل المؤسسين الصهاينة .

وهكذا يمكن القول، إن بعض الأدباء الإسرائيليين اليساريين قد توقفوا، خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، عند مراجعة مدى صدق الصهيونية في أطروحاتها حول الحق الديني والتاريخي لليهود في فلسطين، ومدى نجاح الصهيونية في تجميع الشتات اليهودي، وغير ذلك من القضايا التي تم مراجعتها من جديد على ضوء المتغيرات التي حدثت على الساحة الإسرائيلية، ومدى تلاؤمها مع فرضيات الأيديولوجية الصهيونية، مثلما حدث مع شخصية (الصبار) الصهيونية التي أبرز الأدب الإسرائيلي مدى خيبة الأمل من ادعاء (الصبارية) أنها سوف تحل محل الثقافة والإرث اليهوديين. " وبدا التلويح بالوداع (للصبار) الذي وصل ذروته في نهاية الثمانينيات، أي في نفس الفترة التي وصلت فيها حرب الأدب الإسرائيلي ضد الصهيونية إلى ذروتها، حيث إن كلتا الأيديولوجيتين، الصهيونية والصبارية، كانتا قد وصلتا إلى الدرك الأسفل. ولم يعد بإمكانهما مواصلة القيام بالدور الذي من المفترض أن تقوم به الأيديولوجية في حياة المجتمع ... وحسبما يقول الناقد الإسرائيلي يوسف أورن، فقد توقف الأدب الثري الإسرائيلي عن تمجيد الصورة الكمالية التي نحتها في بدايته (للصبار). وقد مر الصبار بثلاث صور من التعامل من جانب الأدب الإسرائيلي. لقد عبر عنه ذلك الأدب خلال الأربعينيات بنغمة تمجيدية. وقد تحولت هذه النغمة إلى نغمة ساخرة متهكمة، خلال الستينيات والسبعينيات، ووجد في الأدب الذي كتب خلال الثمانينيات من القرن العشرين نغمة مأساوية تبشر بغروب النموذج الصباري المثالي معلنة انتهاء وجوده في الأدب الذي سيكتب مستقبلاً " (□).

(□) يوسف أورن: " زهويوت باسيبورت هايسرائيليت " (هويات في الأدب الإسرائيلي)، دار نشر ياحد، إسرائيل، 1994، (ص93). (نقلاً عن د. رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، مرجع سابق، ص 97).

ويمكن القول أيضاً، إن تلك المرحلة الزمنية للأدب العبري المعاصر قد تركزت موضوعاتها الأدبية على محورين مهمين، وهما: نقد الأيديولوجية الصبارية المتمثلة في شخصية (الصبار) ونقد الأيديولوجية الصهيونية ونبذ مبادئها. وقد تم التعامل مع هاتين الأيديولوجيتين بصورة مباشرة وواضحة بعدما ثبت فشلهما في مساندة الواقع الإسرائيلي بمتغيراته السياسية.

وهكذا، " شهد الحوار الذي أجراه الأدب الإسرائيلي مع الصهيونية فترات من الازدهار والتمردات التي وقعت بفعل تأثير الأحداث الرئيسية خلال سنوات الدولة (وخاصة تأثير الحروب وما أعقبها من اهتزازات في الوضع النفسى القومى)، حيث عبر الأدب الإسرائيلي في فترات زمنية وجيزة عن الإخلاص التام للصهيونية وأمالها في تحقيق طموحاتها. وعبر سنوات قيام الدولة راح نفس الأدب يعيد تقييم الصهيونية واتجه بشكوكية شاملة للتعامل مع مدى صدق الصهيونية في نهجها، ومدى احتمالات تحقيق مشروعاتها الإقليمية والديموقراطية وغيرها " (1). وقد دفع هذا الوضع أديباً مثل موشيه شامير يتساءل عن هذا الأدب وهل مازال صهيونياً؟ وتساءل آخرون، هل من الممكن اعتبار الأدب العبري الحديث عدواً للصهيونية؟ وهل يستطيع الأدب المعادى للصهيونية أيضاً إذا كتب باللغة العبرية أن يندرج تحت إطار الأدب العبري؟

لقد أكد هؤلاء الأدباء الإسرائيليون اليساريون خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، " أنه إذا كانت إسرائيل الحالية هي ثمرة حقاً من ثمار المشروع الصهيوني فإن هذا المشروع ذاته تحول الآن إلى مجرد إشارة إلى حركة تاريخية وإلى لحظة أوروبية ولت وانتهت. وقد دفع هذا الأمر المفكرة الإسرائيلية سنتيا أوزيل إلى القول: بأن الكلام عن الصهيونية وعن الدولة الإسرائيلية يدفعنا الآن إلى تبني مصطلح (ما بعد الصهيونية) الذي يعنى اعتبار الدولة ثمرة لحركة سياسية قديمة لفظت أنفاسها، وأنه من الصعب الآن التعامل مع الدولة مادامت أنها أصبحت مرادفاً لمشروع لم يكتمل بعد. فالحركة التي لم تجسد ذاتها ولم تحقق أهدافها، هي رمز للتخلف والجمود. والدولة التي تعتمد على الدعم الخارجي ستفقد قدرتها على الصمود. ولقد اعتمدت الحركة الصهيونية حقاً على عناصر خارجية منذ عهد هرتسل نفسه، مروراً بوعد بلفور وانتهاء بقرار التقسيم الذي صدر في عام 1947 " (2).

(1) يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلي " (الصهيونية والصبارية في الرواية الإسرائيلية)، مرجع سابق، (ص24).

(2) د. محمد محمود أبو غدیر: إسرائيل بعد خمسين عاماً، البوتوييا الصهيونية بين الحلم والواقع، مرجع سابق، (ص73).

ومن ناحية أخرى، هناك حقيقة لا يمكن إغفالها، وهي أنه على الرغم من موجة النقد اللاذعة التي شهدتها سنوات الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين ضد الصهيونية من قبل الأدباء الإسرائيليين اليساريين، فإن هذه الفترة شهدت أيضاً أعمالاً أدبية أخرى من قبل الأدباء الإسرائيليين اليمينيين، ردت وبشدة على تلك الأعمال التي استعرض فيها أدباء اليسار إخفاقات الصهيونية فحسب ونادوا برحيلها، حيث راح أدباء اليمين يجدون في أعمالهم الصهيونية ويستعرضون إنجازات الآباء المؤسسين لها. وقد شكل هذا - إن صح التعبير - موجة من الصراع بين أدباء اليمين وأدباء اليسار حول مدى نجاح الصهيونية أو فشلها.

وعلى سبيل المثال، وصف موشيه شامير الصهيونية بأنها لحن جميل ورائع في حاجة إلى من يستخدمه بأسلوب راق وفعال، " فهو يعطى لنا في ثلاثيته (بعيداً عن اللائى) 1984 معياراً آخر لتقييم الصهيونية ويصفها كبرنامج موسيقى ذى لحن يتوقف تأليفه على ملحنه ومنفذه في الأجيال القادمة. ويسخر شامير من التردد في الإقدام على هذا اللحن بقوله: (هناك من يجد طوال حياته قيثاراً... وبنون وبنون، وإلى لحنهم لا يقتربون). ولكن يجب ألا يتردد الملحنون في اختيار اللحن الأفضل: (فالسفونية تشيد بالتعايش السامى والنهائى وغير المعلق... هذه السفونية غير قابلة للتغيير أو التقليل من شأنها... حتى إذا لم تخرج للعالم فهى قائمة، وحتى إذا سمعوا مقطوعة منها فهى كاملة، وحتى إذا أساءوا إليها بلحن فهى مكتملة) الرواية ص 12 " (1).

كما كتب الأديب الإسرائيلى "أهارون أمير" ثلاثية عرض فيها الإنجاز الشامل للصهيونية، وهى الثلاثية التى سعت إلى الرفض المطلق للشتات. وهى ("نون" 1969، "نون" 48 " 1985، "نون" 67 " 1989).

وانضم الأديب الإسرائيلى "ناتان شاحام" إلى صفوف المدافعين عن الصهيونية، وأصدر روايته (فى قلب تل أبيب) 1996، وفيها يحكى لنا عن مجموعة من الأصدقاء قضوا طفولتهم وحياتهم معاً فى مبنى سكنى بتل أبيب، وبعد أن امتد بهم العمر قرروا شراء هذا المبنى ليقيموا به متحفاً لتخليد آباء الصهيونية الذين سكنوا فى أول مدينة عبرية، وليكون شاهداً للأجيال القادمة على نجاح المشروع الصهيونى على أرض فلسطين.

(1) يوسف أورن: "هاتسونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلى" (الصهيونية والصبارية فى الرواية الإسرائيلىة)، مرجع سابق، (ص 22).

وتشتمل حبكة الرواية على ما يقرب من سبعين عاماً في تاريخ هذه البلاد، ولكنها فضلت أن تلقى الضوء على الاستيطان الصهيوني في فلسطين من خلال بعض اليهود الذين شهدت حياتهم ثلاثة أجيال وسكنوا معاً في عمارة سكنية واحدة في قلب تل أبيب . ويرى يوسف أوران أن هذه الرواية جاءت كرد فعل على روايات شاليف المعادية للصهيونية، على حد قوله، وأشار إلى أنها رواية صهيونية ترد وبشدة على مشروع شاليف الذي خلّد فيه فشل الصهيونية بدلاً من تخليد نجاحها، حيث يقول: " وهكذا، بينما بنى شاليف مجده وقبوله في الأدب العبري الإسرائيلي على حساب روايات معادية للصهيونية، وأثبت فشل الصهيونية الذي زرع شواهد في كل (قرية) وفي كل (مخبز) بالبلاد، يجيء شاحام ليرد عليه من خلال رواية صهيونية تركز إلى الحقائق التاريخية التي يمكن أن تكون كافية عبر السير الحياتية لمجموعة من السكان أثبتت نجاح (الثورة العبرية، التي لم تكن ثورة فقيرة، بل كانت هي الوحيدة، خلال القرن العشرين، التي سطعت بقوة) الرواية ص 379 . . . إنها رواية صهيونية تأتي أحداثها من خلال خلفية واسعة لسنوات تحقق الصهيونية في تاريخ الشعب اليهودي في العصر الحديث " (□) .

وهكذا، شهد الأدب العبري الإسرائيلي، خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، نوعاً من المناورة بين أدباء اليمين وأدباء اليسار، وإن كانت الغلبة في صالح أدباء اليسار لما يتمتعون به من شهرة واسعة داخل إسرائيل ومن مكانة أدبية على الخريطة الأدبية في إسرائيل .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الكتاب سوف يركز على تناول الأعمال الأدبية التي كتبها أدباء إسرائيليون ينتمون إلى اليسار الصهيوني، على اعتبار أنه وبالرغم من أن اليمين الصهيوني قد أتاحت له فرصة تاريخية لكي يتولى الحكم في إسرائيل بالتناوب مع اليسار في الفترة من 1977 وحتى عام 1999 ليخلو له كرسي الحكم تماماً اعتباراً من 1999 بتولى شارون الممثل لليمين المتطرف للحكم في إسرائيل، فإن هناك حقيقة أساسية لا يمكن إنكارها بالرغم من هذا، وهو أنه وإن كان اليسار قد فقد السلطة السياسية، فإن السلطة الثقافية في إسرائيل ظلت حتى بداية القرن الواحد والعشرين متمركزة في يد اليسار الصهيوني، سواء عن طريق المؤسسات الثقافية الرسمية أو أجهزة الإعلام والكتاب الصحفيين الكبار وأعلام الأدب الإسرائيلي الممثلين لرموزه الأساسية . ولهذا فإنه لا يمكن مجال من الأحوال لهذه الاعتبارات السابقة قراءة شفرة الأدب العبري في إسرائيل إلا من خلال هؤلاء الأدباء اليساريين تحديداً . وإذا كان هناك من يقول، إن صعود اليمين

(□) يوسف أوران: "رومان تسيوني رحمانا ليتسلان" (رواية صهيونية، حاشا لله)، مرجع سابق، (ص43، 44) .

الصهيوني للسلطة في إسرائيل منذ السبعينيات وحتى الآن قد واكبه نوع ما من الانحسار في نفوذ السلطة الثقافية لليسار الصهيوني، فإننا وإن كنا نقبل بهذا جزئياً في بعض المناحي، إلا أن الحقيقة تشير إلى أن هؤلاء الأدباء الذين يمكن أن يشار إليهم باعتبارهم كتاباً يمينيين مازالوا حتى الآن لم يتبوءوا مكانة متميزة على خريطة الأدب الإسرائيلي، ولم يستطيعوا أن يقذفوا بأدباء اليسار من فوق كراسي الصدارة، وتتحصر أعمالهم في كتابات سواء شعرية أو روائية ما زالت ترسخ وتدور في فلك الأدب المجند الذي عفا عليه الزمن، وتأتي أعمالهم عادة ليس بروح المبادرة، ولكن من خلال الرد الدفاعي على ما يثيره كتاب اليسار من قضايا في نقد أو إعادة تقييم الصهيونية، أو طرح الحلول لإخراج الصهيونية من مأزقها متمركزين حول الشعارات القديمة التي لم يعد يقبلها كل من الواقع والزمن التاريخي، ناهيك عن أن مؤسسة النقد الرسمية وغير الرسمية في إسرائيل مازالت في يد النقاد الذين ينتمون لليسار الصهيوني، فلذا فهم لا يحتفون بمثل هذه الأعمال أو الكتابات التي ينشرها الأدباء اليمينيون، وذلك باستثناءات قليلة للغاية لبعض أعمال أدباء أمثال موشيه شامير وناتان شاحام وغيرهم.